مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

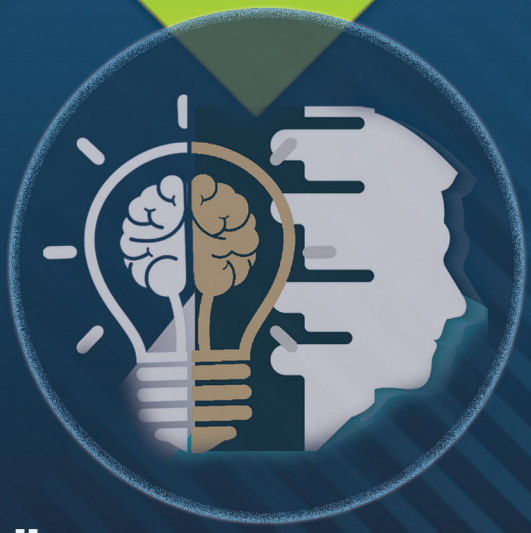

السنة الثامنة، العدد 27
المجلد الثاني، سبتمبر 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دوليًّا، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.
15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
17. لا تردّ البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنيّاً.

المشرف العـــام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هـيـئـــة الـتـحـريـــر

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري
أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري
أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني
أستاذ الإدارة التربوية

د. ياسر بن عايد السميري
أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي
أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د. نوف بنت عبدالله السويداء
استاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري
أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان
سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

فهرس الأبحاث

م	عنوان البحث	رقم الصفحة
1	البحوث الحديثية في مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية «دراسة تحليلية وصفية» د. أحمد بن علي الشهري	23 – 11
2	الأنساق الاجتماعية المضمرة في مجموعة قماشة العليان القصصية «الرجل الحائط» د. سامية بنت مسفر بن فالح الهاجري	52 – 35
3	Algorithmic Governance and Judicial Oversight: A Comparative Analysis of AI Integration in Administrative Decision-Making and Its Implications for Judicial Review د. هاشم بن بكر بن علي الشيخ	74 – 55
4	الذكاء التنظيمي وعلاقته بالاندماج الوظيفي لدى مديري المدارس الحكومية بمدينة حائل أ.د. علي بن صالح الشايع أ. فاطمة بنت سالم التميمي أ. مرام بنت عثمان الخضير	99 – 77
5	واقع توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي التربوية وتحدياته في تأهيل الطلاب ذوي الإعاقة البصرية من وجهة نظر معلمي التربية الخاصة د .عبد الرحمن بن أحمد بن محمد البليهي	127 – 101
6	توظيف معلمي الطلاب ذوي الإعاقة السمعية لتقنيات التعليم في تدريس طلابهم بمدارس الدمج في منطقة القصيم د. جهاد بن عبد الله النعيم	147 – 129
7	مقترحات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية حول التعليم القائم على التعليب لتعلّم الطلبة د. يوسف عبد الرزاق بن عبد الكريم المسلماني	164– 149
8	دور استراتيجية تعليم الأقران في تحسين مهارات الرسم على الزجاج لدى طلاب الصف الرابع الابتدائي وتحديات استخدامها من وجهة نظر معلمي التربية الفنية بمنطقة جازان أ .وليد بن محمد بن ملهي داحش	191– 167
9	تمثيلات البيئة في روايتي نزيف الحجر وأطفال منتصف الليل: دراسة نقدية مقارنة د. محمد بن لافي اللويش	205 – 193
10	التَّوكِيدُ وأَثَرُهُ في الانْسِجَامِ الدِّلاليّ في سُورةِ الواقعةِ «دراسةٌ نحويّةٌ دِلاليّةٌ». د. إبراهيم بن عبد الله بن أحمد الزين	215 – 207
11	دور التخطيط الإستراتيجي في تعزيز القدرة التنافسية لجامعة حائل د. يوسف بن مبرك بن نامي المطيري	247 – 217
12	Micro-fiction and Digital Constraint: X as a Platform for Digital Literature د. لورا بنت هادي السعيد	262 – 249

تمثيلات البيئة في روايتي نزيف الحجر وأطفال منتصف الليل: دراسة نقدية مقارنة

The Representations of The Environment in Bleeding of the Stone and Midnight›s Children: A Critical Comparative Study

د. محمد بن لافي اللويش
أستاذ الأدب المقارن المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الجوف. المملكة العربية السعودية.
https://orcid.org/0009-0009-0313-7962

Dr. Mohammed Lafi Allwaish
Associate Professor of Comparative Literature, Department of Arabic Language
Arts Collage - Jouf University, Kingdom of Saudi Arabia.

(تاريخ الاستلام: 2025/12/12، تاريخ القبول: 2025/05/27، تاريخ النشر: 2025/07/30)

المستخلص

تتناول هذه الدّراسة تمثيلات البيئة في روايتَيْ (نزيف الحجر)؛ لإبراهيم الكوني و(أطفال منتصف اللّيل)؛ لسلمان رشدي، بما تنطوي عليه من دلالات بيئيَّة ضمن نسيجها السَّرديّ وعلاقة ذلك بالواقع البيئي الخارجي؛ فعلى الرّغم من أنَّ (نزيف الحجر) تُعنى بالعلاقة مع الآخر، وما يفرضه نمط العيش في الصَّحراء العربية من ممارسات روحيَّة وثقافيَّة، إلَّا أنَّها تتضمَّن أبعادًا بيئيَّة تستدعي التَّأمُّل والتَّحليل، وبالمثل تنشغل رواية (أطفال منتصف اللّيل) بالقضايا الاجتماعيَّة والسّياسيَّة في الهند بعد الاستقلال، إلَّا أنَّ بنيتها السَّرديَّة تكشف عن إسقاطات بيئيَّة مضمرة من خلال توظيف رمزية الغابات والطبيعة الساحرة، مما يسهم في تشكيل رؤيتها الفنية العامَّة. وبناءً على ذلك تهدف هذه الدّراسة الكشف عن المضامين الفلسفيَّة والأخلاقيَّة الَّتي تحملها البنية السَّرديَّة في الروايتين، ومدى إسهامهما في رفع درجة الوعي البيئيّ لدى المتلقي. كما تسعى الدّراسة إلى تقديم مقاربة نقديَّة تستند إلى النَّقد البيئيّ في تحليل نصوصٍ سردية قد لا تُصنَّف ضمن الأدب البيئيّ المباشر؛ ومن خلال هذا التَّحليل تخلص الدراسة إلى أنَّ مركزيَّة البيئة وقضاياها ليست مجرَّد عناصر ثانويَّة في الرّوايتين، بل تُشكّل بُعدًا جوهريًّا يُسهم في توجيه مسارات السَّرد وبناء دلالاتهما العميقة.

الكلمات المفتاحية: النَّقد البيئيّ، نزيف الحجر، أطفال منتصف اللّيل، الأدب المقارن.

Abstract

This paper discusses the representations of the environment in Ibrahim Al-Kouni’s Bleeding of the Stone and Salman Rushdie’s Midnight›s Children through ecocriticism. Although the novel «Bleeding of the Stone» concentrates on the relationship with others and the spiritual and cultural practices involved in the pattern of living in the desert, it includes environmental issues. This is also reflected in the novel «Midnight›s Children «, whose narrative structure focuses on India›s social and political issues after independence. However, this paper attempts to provide a dialectical argument that both narratives can be delved into ecocriticism to explore the philosophical and ethical perspectives of narrative structures on raising human awareness of the environment and its issues, and the impact of those issues on the structure of narratives in these novels. In addition, this paper aims to provide a dialectical critical analysis of literary texts that may not be concerned with environmental issues and can be read via the angle of ecocriticism. Hence, the paper finds, most notably, that the centrality of the environment and its issues are an important part of the narrative›s structure.

Keywords: Ecocriticism, the Bleeding of the Stone, Midnight’s Children, Comparative Literature.

للاستشهاد: اللويش، محمد بن لافي. (2025). تمثيلات البيئة في روايتي نزيف الحجر وأطفال منتصف الليل: دراسة نقدية مقارنة. *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل*، 02 (27)، ص193 – ص205.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث

Funding: There is no funding for this research

المقدمة:

تقول (راشيل كارسون) (Rachel Carson) في مجموعتها القصصيَّة: (الرَّبيع الصَّامت) الَّتي نُشرت عام 1962م:» كان يا ما كان في قديم الزَّمان بلدة تقبع في قلب أمريكا ... المزارع المزهرة، والحقول الخضراء، وعواء الذِّئاب في التِّلال، والغزلان الصَّامتة ... كلّها كانت مبتهجة برؤية عابري السَّبيل يقطعون البلدة» (Carson, 2015, P21). يُركِّز هذا المشهد السَّرديّ على تصوير جمال الطَّبيعة في بلدة ريفيَّة، غير أنَّ (كارسون) تضمر في ثنايا لغتها تصويرًا غير مباشر لمفهوم التَّوازن البيئيّ بين مُكوِّنات الطَّبيعة، ممَّا يُبرز أهمّيَّة التَّناغم بين الجمال الطَّبيعيّ وتعايش الإنسان. فجمال الطَّبيعة وفقًا للسّياق السَّرديّ، ليس مجرَّد مشهد بصريّ خلَّاب، بل هو نتيجة لتوازن بيئيّ دقيق؛ حيث يُؤدِّي وجود الذِّئاب المفترسة دورًا حاسمًا في ضبط أعداد الظِّباء، ممَّا يحول دون استنزاف الغطاء النَّباتيّ، ويضمن استدامة النّظام البيئيّ؛ إلَّا أنَّ هذا التَّوازن لم يدم طويلًا؛ إذ تصف (كارسون) ظهور «آفة غريبة زحفت على المكان، وبدأ كُلّ شيء بالتَّغيُّر ... خيَّم ظلام الموت على المكان» (Carson, 2015, P. 21)، أي أنَّ معالم البيئة الرّيفيَّة بدأت تتلاشى تدريجيًّا؛ ممَّا أدَّى إلى اندثارها في النّهاية بفعل اختلال التَّوازن البيئيّ. ومن هنا يرى بعض النُّقَّاد وعلى رأسهم (جرج جرارد) Greg Garrard أنَّ هذه القصَّة شكَّلت نقطة تحوُّل في الوعي الأدبيّ بقضايا البيئة؛ إذ أسهمت في ترسيخ اهتمام الأدباء بالبيئة ومشكلاتها، الأمر الَّذي دفع الدّراسات النَّقديَّة إلى الاهتمام بالأدب الَّذي يعالج القضايا البيئيَّة، ويُكرِّس اهتماماته لمفهوم التَّوازن البيئيّ.

منذ أواخر ستينيَّات القرن العشرين شهدت النَّظريَّة النَّقديَّة المعاصرة تحوُّلات جوهريَّة أسهمت في ظهور مناهج نقديَّة جديدة، كان من أبرزها النَّقد البيئيّ (Eco-criticism)، الَّذي يُعنى باستكشاف النُّصوص الأدبيَّة والثَّقافيَّة للكشف عن تمثيلات البيئة ودلالاتها. يُنظر إلى هذا المنهج النَّقديّ بوصفه مقاربة تحليليَّة تسعى إلى دراسة العلاقة بين الأدب والبيئة، وذلك من خلال تتبُّع تمثيلات الطَّبيعة والأنظمة البيئيَّة في الخطاب الأدبيّ، تجلَّت بدايات النَّقد البيئيّ في دراسات نقديَّة معاصرة، عندما نشر (جوزيف مايكر) عام 1972م كتابه الموسوم بـ(كوميديا البقاء: دراسات في البيئة الأدبيَّة)، في حين أنَّ أوَّل من صاغ مصطلح النَّقد البيئيّ (ويليام رويكيرت) في دراسته المنشورة عام 1978م بعنوان: (الأدب والبيئة: تجربة في النَّقد البيئيّ) (23-Rueckert, 1996, P.105)، وفي الثَّمانيَّات وأوائل التّسعينيَّات من القرن العشرين دخل النَّقد البيئيّ الحقل الأكاديميّ من خلال جمعيَّة (دراسة الأدب والبيئة) الَّتي أُسِّست عام 1992م في مدينة (رينو بولاية نيفادا) الأمريكيَّة، والَّتي أسَّست، بدورها، مجلَّة علميَّة محكَّمة مُتعدِّدة التَّخصُّصات عنيت بدراسات الأدب والبيئة وعملت على إبراز دور النَّقد البيئيّ في تحليل تمثيل البيئة وفهمها، وتسليط الضوء على قضاياها المعاصرة في النُّصوص الأدبيَّة والثَّقافيَّة.

أصبحت الدّراسات النَّقديَّة تهتمُّ بمناقشة القضايا البيئيَّة، مثل التَّلوُّث، وإزالة الغابات، والتَّغيُّر المناخيّ؛ ممَّا عزَّز الحاجة إلى استكشاف دور الأدب في معالجة هذه القضايا. كما ارتبط صعود النَّقد البيئيّ بانتشار أعمال أدبيَّة اهتمَّت بالعلاقة بين المجتمع البشريّ والبيئة، وقد دفع هذا التَّوجُّه الأدبيّ والنَّقديّ إلى إعادة التَّفكير في دور الأدب في تشكيل المواقف الإنسانيَّة تجاه الطَّبيعة وتأثيره على البيئة. بالتَّالي تبلور النَّقد البيئيّ باعتباره مجالًا نقديًّا مُتميزًا ضمن النَّظريَّة الأدبيَّة والثَّقافيَّة المعاصرة؛ إذ يعالج الطُّرُق الَّتي يعكس بها الأدب التَّصوُّرات البيئيَّة ويُؤثِّر عليها. ومن هُنا يمكن القول بأنَّ النَّقد البيئيّ هو مجال دراسة تقاطع الأدب والبيئة؛ حيث يستمدُّ أدواته المعرفيَّة والنَّقديَّة من عدَّة تخصُّصات إنسانيَّة منها: النَّظريَّة النَّقديَّة المعاصرة، والدّراسات اللُّغويَّة، وعلم الاجتماع وغيرها. فالنَّقد البيئيّ يُؤطِّر لرؤية نقديَّة تدعو إلى المحافظة على البيئة من خلال تكريس نظرة أدبيَّة تُركِّز على أنَّ المجتمعات البشريَّة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعالم الطَّبيعيّ، وأنَّ الأدب والثَّقافة يعكسان ويُشكِّلان مواقفنا تجاه البيئة؛ وفق مفاهيم نقديَّة، وإجراءات دقيقة.

كما أنَّ النَّقد البيئيّ لا يُركِّز على الأدب فحسب، وإنَّما يتجاوزه إلى سبر أغوار أنماط ثقافيَّة أوسع، بما في ذلك الأفلام، والفنون البصرية، والثقافة الشعبية، والخطاب الإعلامي حيث يقول (مارفي باتريك) في كتابه (الاستكشافات البيئيَّة في الدّراسات الأدبيَّة والثَّقافيَّة: الأسوار والحدود والحقول) إنّ «النَّقد البيئيّ يعتمد بشكل ضروريّ على مناهج وتخصُّصات مُتعدِّدة تتجاوز حدود النَّقد الأدبيّ» (Murphy, 2009, p.7)، حيث تسمح تلك الرَّوافد المعرفيَّة والمنهجيَّة مُتعدِّدة التَّخصُّصات للنَّقد البيئيّ بدراسة الطُّرُق الَّتي يتمُّ بها تمثيل المواضيع والاهتمامات البيئيَّة، وتعميمها في إطار الثَّقافة الإنسانيَّة المعاصرة، وكذلك الطُّرُق الَّتي تساهم بها النُّصوص الثَّقافيَّة في الخطاب العام بشأن القضايا البيئيَّة. كما أنَّ للنَّقد البيئيّ مدونة معجميَّة مصطلحيَّة ذكرتها (نجاح الجبيلي) في كتابها: (النَّقد البيئيّ: مُقدّمات، مقاربات، تطبيقات)؛ إذ استخدم النُّقَّاد والباحثون في مجال النَّقد البيئيّ بعض المصطلحات الَّتي تحمل مدلولات تُساعد في تحليل النُّصوص الأدبيَّة والثَّقافيَّة من وجهة نظر النَّقد البيئيّ (الجبيلي، 2021).

أهمّيَّة البحث وأسباب اختياره

إنَّ المتأمِّل في الحركة النَّقديَّة العربيَّة المعاصرة يلحظ ندرة الدّراسات الَّتي تتناول قضايا البيئة من منظور النَّقد البيئيّ. ويُعزى ذلك إلى عاملين رئيسيين: أوَّلهما: حداثة النَّقد البيئيّ في الخطاب النَّقديّ العربيّ المعاصر؛ ممَّا حال دون انتشاره على نطاق واسع، وثانيهما: الغموض المفاهيميّ الَّذي يكتنف المصطلح؛ إذ يُفهم أحيانًا أنَّه يُعنى بتصوير الطَّبيعة وجمالها في الأعمال الأدبيَّة فحسب، في حين أنَّ مجاله النَّقديّ أوسع وأكثر تعقيدًا. وانطلاقًا من هذه الإشكاليَّة اختار الباحث دراسة تمثيلات البيئة في رواية (أطفال

منتصف اللّيل)؛ للرّوائيّ الإنجليزيّ ذي الأصول الهنديَّة: (سلمان رشدي)، ورواية (نزيف الحجر)؛ للرّوائيّ: (إبراهيم الكوني)؛ بغية استكشاف كيفيَّة توظيف البنية السَّرديَّة في تقديم رُؤًى بيئيَّة تتجاوز البُعد الجماليّ، إلى مقاربة أعمق لقضايا التَّفاعل بين الإنسان والبيئة.

أهداف البحث

تهدف هذه الدّراسة إلى تحقيق هدفين رئيسين هما: تقديم قراءة نقديَّة موجزة في مجال النَّقد البيئيّ، يمكن أن تُشكِّل مرجعًا مفيدًا للباحثين العرب في الدّراسات النَّقديَّة المعاصرة، كما تسعى إلى تقصّي تمثيلات البيئة في الخطاب السَّرديّ للرّوايتين؛ ممَّا يتيح إمكانيَّة الكشف عن الأبعاد البيئيَّة الكامنة في بنيتهما السَّرديَّة. إضافةً إلى ذلك تهدف الدّراسة إلى طرح رؤية جدليَّة في الدّراسات النَّقديَّة تُعنى بالنَّقد البيئيّ فاتحةً آفاقًا جديدة أمام الباحثين لتحليل النُّصوص الأدبيَّة الَّتي لا تتناول القضايا البيئيَّة بشكل مباشر، وإنَّما تستبطن في بنيتها السَّرديَّة دلالات بيئيَّة، يمكن استنطاقها وفق منظور نقديّ جدليّ، يتجاوز الطَّرح التَّقليديّ للنَّقد البيئيّ.

فرضيّة الدراسة

من أجل تحقيق هدفَيْ البحث، تطرح الدراسة فرضيَّة جدليَّة مفادها أنَّ مدونة البحث قد لا تبدو – للوهلة الأولى – منشغلة بقضايا البيئة؛ نظرًا لتركيزها على موضوعات أخرى، كالتَّاريخ مثلًا إلا أنَّها تغوص في عالم الإنسان والطبيعة ذلك أنَّ الإنسان ابن بيئته، لا تنفصل سلوكه وممارساته عن السّياق البيئيّ الَّذي يعيش فيه أو الواقع الاجتماعي والسياسي الذي ينتمي إليه. استنادًا إلى ذلك فإنَّ روايتَيْ: (أطفال منتصف اللّيل)، و(نزيف الحجر) يُنظر إليهما بوصفهما أعمالًا روائيَّة ما بعد كولونيالية. لذلك تسعى هذه الدّراسة إلى فحص تمثيلات البيئة وقضاياها في بنية المدوّنة السَّرديَّة؛ إذ تتجلَّى هذه التَّمثيلات البيئيَّة بوصفها خطابًا مضمرًا داخل السَّرد، يعكس تأثير الهيمنة الاستعماريَّة على البيئة؛ سواء أكان ذلك في الهند أم في الصَّحراء الكبرى بأفريقيا.

أسئلة البحث ومنهجه

إنَّ مناقشة فرضيَّة البحث، تقتضي التعريف بالنقد البيئي مفهوما وإجراء من خلال طرح سؤالين مهمين: ما النَّقد البيئيّ؟ وهل يمكن تطبيق أدواته على أعمال أدبيَّة، لا سيَّما أنَّ بعض الأعمال الرّوائيَّة لم يكن موضوعها الرَّئيس قضايا البيئة؟ وللإجابة عن هذين السُّؤالين، تعتمد الدراسة على المنهج المقارن الَّذي يستفيد من الرَّوافد المعرفيَّة لمناهج نقديَّة أخرى، بما يخدم الأبعاد المعرفيَّة والمنهجيَّة للنَّقد البيئيّ، بوصفه أحد التَّيارات النَّقديَّة المنبثقة عن دراسات ما بعد الحداثة.

الدّراسات السَّابقة

إنَّ مناقشة هذه الفرضيَّة الجدليَّة تقتضي إلقاء نظرة نقديَّة على الدّراسات السَّابقة الَّتي تناولت روايتَيْ: (أطفال منتصف اللّيل)، و(نزيف الحجر) من شأنه أن يكشف خصوصية هذه الدراسة؛ ففي الواقع هناك العديد من الدّراسات النَّقديَّة الَّتي تناولت هاتين الرّوايتين بالتحليل من زوايا مُتعدِّدة، مستعينة بمناهج نقديَّة مختلفة. وعلى الرّغم من عمق هذه الدّراسات وأهمّيَّتها، إلا أنها لم تتطرَّق إلى التَّمثيلات البيئيَّة في الرّوايتين ضمن إطار النَّقد العربيّ المعاصر. خلافا لما عثرنا عليه من الدّراسات الحديثة المنشورة باللُّغة الإنجليزيَّة الَّتي تناولت النَّقد البيئيّ في بعض الأعمال الرّوائيَّة –لا سيَّما– (أطفال منتصف اللّيل). ومن بين هذه الدّراسات كتاب (روبرت مارزيك) بعنوان: (دراسة بيئيَّة وما بعد الاستعمار للأدب من دانيال ديفو إلى سلمان رشدي)، الَّذي عالج تمثيلات البيئة في الأدب من منظور يجمع بين النَّقد البيئيّ ودراسات ما بعد الاستعمار (Marzec, 2015). يُقدِّم هذا الكتاب تحليلًا شاملًا للطُّرُق الَّتي تتقاطع فيها الموضوعات البيئيَّة وما بعد الاستعمار في الأدب من خلال تتبُّعه لأعمال أدبيَّة ظهرت من (دانيال ديفو) إلى (سلمان رشدي)، ويُغطِّي الكتاب نطاقًا زمنيًّا واسعًا؛ مُسلِّطًا الضَّوء على كيفيَّة تأثير العصور المختلفة والسّياقات الثَّقافيَّة المتباينة، في تشكيل التَّمثيلات الأدبيَّة للطَّبيعة والاستعمار.

كما نَشر (ألكسندر بيكروفت) عام 2015م، كتابًا بعنوان: (إيكولوجيا الأدب العالمي: من العصور القديمة إلى وقتنا المعاصر)، تناول فيه دراسة الأدب من منظور بيئيّ شامل؛ محلِّلًا كيفيَّة تفاعل النُّصوص الأدبيَّة مع الأنظمة البيئيَّة عبر مختلف الأزمنة والثَّقافات (Beecroft, 2015) . لقد قدَّم (بيكروفت) إطارًا لفهم الأدب العالميّ، ليس فقط من حيث الاختلافات الثَّقافيَّة أو اللُّغويَّة، بل أيضًا من خلال علاقته بالظُّروف البيئيَّة الَّتي يتشكَّل في ظلِّها. ويتناول الكتاب هذا الطَّرح ضمن نطاق زمنيّ واسع، يمتدُّ من العصور القديمة إلى يومنا الحاضر، مُقدِّمًا رؤية شاملة لتطوُّر الأدب في سياقه البيئيّ.

ونشرت (جوستينا بوراي ويبرانوفسكا) عام 2020م كتابًا بعنوان: (تغيُّر المناخ والكارثة البيئيَّة ورواية ما بعد الاستعمار المعاصرة)، حيث ناقشت فيه تأثير التَّغيُّر المناخي والكوارث البيئيَّة على السَّرديَّات الأدبيَّة في سياق ما بعد الاستعمار، مُسلِّطةً الضَّوء على كيفيَّة تمثيل الأدب لهذه القضايا من منظور نقديّ وثقافيّ (Justyna,2020). كما تناولت الباحثة كيفيَّة تمثيل الأعمال الأدبيَّة المعاصرة، المُصنَّفة ضمن أدب ما بعد الاستعمار، لقضايا تغيُّر المناخ والأزمة البيئيَّة. ويكشف الكتاب أوجه التَّقاطع بين الأبعاد البيئيَّة والإرث الاستعماريّ؛ مُحلِّلًا نتائج الاستعمار، مثل استغلال الموارد الطَّبيعيَّة، وفرض نماذج اقتصاديَّة مُعيَّنة، بوصفها عوامل أساسيَّة أسهمت في تفاقم المشكلات البيئيَّة في مجتمعات ما بعد الاستعمار.

تنفرد هذه الدراسة بتقديم مقاربة بيئية مقارنة بين روايتين تنتميان إلى سياقين ثقافيين مختلفين، تركز هذه الدراسة على التحليل النصي من أجل استكشاف تمثيلات الأبعاد الفلسفية

والأخلاقية لعلاقة الإنسان بالطبيعة، من دون الاكتفاء بالتمثيل المباشر للقضايا البيئية، بل بالكشف عن الخطاب البيئي المضمَر الكامن في البنية السردية. وبهذا تسهم الدراسة في توسيع دائرة النقد البيئي العربي، وتفتح أفقًا جديدًا لتحليل نصوص ما بعد الاستعمار من منظور بيئي.

خطة البحث

سعيًا للإجابة عن سؤالَي البحث، ومناقشة الفرضيَّة، وتحقيق هدفي الدراسة، تُقسَّم هذه الدراسة إلى ثلاثة أجزاء، على النَّحو الآتي: أوَّلًا: التَّمهيد الَّذي يستعرض فيه السّياق الأدبيّ والثَّقافيّ لروايتَيْ: (أطفال منتصف اللّيل)، و(نزيف الحجر). ثانيًا: التَّفاعل بين الإنسان والطَّبيعة في (نزيف الحجر) لإبراهيم الكوني. ثالثًا: التَّداخل بين البيئة والتَّاريخ في (أطفال منتصف اللّيل)؛ لسلمان رشدي.

التَّمهيد

تعكس رواية (نزيف الحجر)؛ للكاتب اللّيبيّ: إبراهيم الكوني— المعروف بارتباطه العميق بالصَّحراء وثقافتها – اهتمامه السَّرديّ بالعناصر الحضاريَّة والثَّقافيَّة. وعلى الرّغم من أنَّ الرّواية لا تتناول القضايا البيئيَّة بشكل مباشر، إلَّا أنَّها تطرح ضمنيّا العلاقة المعقَّدة بين الإنسان والطَّبيعة؛ من خلال تصويرها العميق للصَّحراء اللّيبيَّة. وتتمحور البنية السَّرديَّة للرّواية حول (أسوف) –بطل الرّواية– وهو رجل يعيش في الصَّحراء ويتمتَّع بفهم عميق، واحترام لطبيعة الحياة الصَّحراويَّة. إذ يُجسّد (أسوف) نموذجًا للحياة التَّقليديَّة المتناغمة مع الطَّبيعة؛ حيث يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأرض، ما يجعله رمزًا لأسلوب العيش الَّذي يحترم البيئة وقوانينها. ينزعج (أسوف) من وصول صيَّادين غربيين إلى الصَّحراء لاصطياد حيوان (الودَّان)، وهو أحد الكائنات شبه النَّادرة في البيئة الصَّحراويَّة اللّيبيَّة. وبدافعٍ من إيمانه العميق بحماية هذا الكائن الحي من العبث الاستعماريّ الَّذي يُهدِّد بيئة الصَّحراء، ونُظمها الطَّبيعيَّة؛ يُقرِّر (أسوف) التَّصدِّي لهؤلاء الصَّيَّادين. هذه الرَّغبة في الحماية تنكشف بنية السَّرد المزدوج في هذه الرّواية ذلك الذي يحيل على أهمّيَّة التَّوازن البيئيّ في الصَّحراء الكبرى.

مع تطوُّر الأحداث السَّرديَّة في رواية (نزيف الحجر)، يتجلَّى الصّراع الرّمزيّ بين (أسوف) الَّذي يُمثِّل النَّهج التَّقليدي القائم على احترام الطَّبيعة، وبين الموقف الاستغلاليّ والاستهلاكيّ الَّذي يُجسّده الصَّيَّادون الغربيُّون. في هذه الرّواية يُصوِّر إبراهيم الكوني الصَّحراء — بمناخها القاسي، وتضاريسها الفريدة – ليس فقط كخلفيَّةٍ للأحداث، بل كعنصر سرديّ فاعل يُؤثِّر في مصير الشَّخصيَّات؛ ممَّا يمنحها حضورًا شبه حيٍّ داخل البنية السَّرديَّة. كما يتعمَّق السَّرد في قضايا الحياة والموت، ومدى انعكاسها على البيئة الصَّحراويَّة، حيث تُسلِّط الرّواية الضَّوء على الآثار المدمِّرة للصَّيد المفرط، وعدم احترام التَّوازن الطَّبيعيّ.

ويظهر (أسوف) في الرّواية باعتباره مدافعًا ومناضلًا عن الصَّحراء؛ ممَّا يرد عليها من تهديدات وأخطار تفتك بها؛ سواء أكانت هذه التَّهديدات وتلك الأخطار بشريَّة من الصَّيَّادين الغربيّين أنفسهم، أم غير بشريَّة كالتَّهديدات الأخرى الَّتي تفرضها الحداثة مثل: دخول السّيارات الحديثة، والأسلحة الفتَّاكة إلى الصَّحراء الَّتي تُمثِّل رموزًا واضحة لتأثير التّكنولوجيا على الأنظمة البيئيَّة التَّقليديَّة. تُعدُّ البنية السَّرديَّة لرواية (نزيف الحجر) غنيَّة بالصُّور الرَّمزيَّة الَّتي تُجسِّد العلاقة الرُّوحيَّة بين الإنسان والطَّبيعة، حيث تُعبِّر عن الحبّ والاحترام للعالم الطَّبيعيّ، وتكشف عن العواقب الوخيمة للطَّمع البشريّ، خاصَّة من خلال الصَّيد الجائر. كما تُؤكِّد الرّواية على أهمّيَّة تحقيق التَّوازن البيئيّ بين مختلف عناصر الطَّبيعة، سواء أكانت بشريَّة، أم كائنات أخرى؛ ممَّا يمنح النَّصّ بُعدًا فلسفيًّا وتأمُّليًّا عميقًا حول مفهوم التَّعايش البيئيّ المستدام.

أما رواية: (أطفال منتصف اللّيل) المنشورة عام 1981م، وتُعدُّ من أبرز الأعمال الَّتي كتبها الرّوائيّ: سلمان رشدي؛ نظرًا لما تتميَّز به من توظيف للواقعيَّة السّحريَّة، والخيال التَّاريخيّ، كما تُصنَّف ضمن أهمّ الرّوايات العالميَّة في أدب ما بعد الاستعمار؛ لما تحمله من دلالات سياسيَّة وتاريخيَّة تعكس التَّحوُّلات الكبرى في الهند الحديثة، فتدور أحداثها حول الشَّخصيَّة الرَّئيسة وتدعى (سليم سيناء) المولود في منتصف ليلة 15 أغسطس 1947م، اللَّحظة الَّتي تزامنت مع نيل الهند استقلالها عن الحكم البريطانيّ. وتكشف البنية السَّرديَّة للرّواية عن التَّفاعل العميق بين التَّاريخ الوطنيّ للهند، ومساعيها نحو التَّحرُّر من الاستعمار، من خلال ربط التَّاريخ الشَّخصيّ للبطل بالقضايا الاجتماعيَّة والسّياسيَّة، والتَّحوُّلات التَّاريخيَّة الكبرى الَّتي كان لها أثر عميق في تشكيل المجتمع الهنديّ في حقبته المعاصرة.

من خلال ما يقوم به (سليم سيناء) في (أطفال منتصف اللّيل)، نجد أنَّ الرّواية تتبع تطوُّر شخصيَّة تحمل رمزيَّة لحركة التَّاريخ؛ حيث تكشف بنيتها السَّرديَّة أنَّ جميع الأطفال المولودين في الهند بين السَّاعة (12:00) و(1:00) صباحًا يوم الاستقلال يتمتَّعون بقدرات فريدة، تجعلهم رمزًا لآمال الهند المستقلَّة حديثًا وآلامها. في هذه الرّواية يمتلك (سليم) قدرات تواصليَّة استثنائيَّة، تتيح له الكشف عن البنية المعقَّدة الاجتماعيَّة الهنديَّة بعد الاستقلال، إضافةً إلى التَّحوُّلات الثَّقافيَّة الكبرى، مثل الحرب الهنديَّة الباكستانيَّة عام 1971م، وحالة الطَّوارئ الَّتي أعلنتها رئيسة الوزراء (إنديرا غاندي). كما تتضمَّن البنية السَّرديَّة لرواية (أطفال منتصف اللّيل) معالجة لقضايا محوريَّة، مثل الذَّاكرة والتَّاريخ والبحث المستمرّ عن الهويَّة، غير أنَّ هذا البحث يتمُّ تصويره سرديًّا ضمن إطار المناظر الطَّبيعيَّة؛ ممَّا يعكس العلاقة الوثيقة بين الإنسان والبيئة في سياق التَّحوُّلات السّياسيَّة والاجتماعيَّة.

وتُشكِّل الطَّبيعة في (أطفال منتصف اللّيل) إطارًا سرديًّا

يدمج بين قضايا التَّاريخ وتشكيل الهويَّة وموضوعات البيئة؛ ممَّا يجعل البنية السَّرديَّة تعكس المشهد البيئيّ المتغيّر للهند أثناء انتقالها من الحكم الاستعماريّ إلى مرحلة الاستقلال وما بعدها. وقد ظهرت القضايا البيئيَّة ضمن البنية السَّردية الَّذي كشفت لتعبر عن الدَّور المحوريّ للوعي البيئيّ في تشكيل تاريخ الهند الحديث. وأضمر تصوير المناظر الطَّبيعيَّة في الرّواية رؤية سرديَّة تعكس العلاقة بين الإنسان والبيئة؛ بغية كشف تأثير الممارسات البشريَّة على الطَّبيعة، وظهور نتائجها في تاريخ الهند الحديث؛ الأمر الَّذي جعل الرّواية توظِّف رمزيَّة الطَّبيعة والأرض من خلال تجسيد الواقعيَّة السّحريَّة في الصُّور البيئيَّة؛ ممَّا يُعزّز الأبعاد الفلسفيَّة والبيئيَّة للنَّصّ.

المبحث الأوَّل: الإنسان والطَّبيعة في (نزيف الحجر)؛ لإبراهيم الكوني

طالما مثَّل الإنسان محور العمليَّة الأدبيَّة ومركز الإبداع، غير أنَّ النَّقد البيئيَّ أعاد النَّظر في هذه المركزيَّة من منظور مختلف؛ مُستندًا إلى رُؤًى مُتعدِّدة تشمل الدّراسات الأدبيَّة، والفلسفة البيئيَّة، والجغرافيا الثَّقافيَّة، والدّراسات الثَّقافيَّة، ودراسات ما بعد الاستعمار. وقد مثلت تلك المناهج روافد أسهمت في توسيع نطاق النَّقد البيئيّ؛ ليشمل مجموعة واسعة من الأساليب النَّظريَّة والمنهجيَّة. وأصبح يُنظر في الدّراسات الأدبيَّة إلى تمثيل البيئة بوصفها عنصرًا متداخلًا مع الفلسفة البيئيَّة، والجغرافيا الثَّقافيَّة، ودراسات العلوم مُتعدِّدة التَّخصُّصات، للكشف عن الرَّوابط المعقَّدة بين الإنسان والطَّبيعة والأدب، (Glotfelty, Harold, 1996, p. xviii). من هذا المنطلق ركَّز أغلب النُّقَّاد المهتمين بالدّراسات البيئيَّة النَّقديَّة على مفهوم «المركزيَّة البيئيَّة»؛ ساعين إلى استنطاق النُّصوص الأدبيَّة والثَّقافيَّة (Cohen, 1999, p.505)؛ بهدف دحض الرُّؤية التَّقليديَّة الَّتي تجعل مركزيَّة الأدب تدور حول الإنسان وحده. إذ يُؤكِّد النَّقد البيئيّ على القيمة الجوهريَّة للبيئة بوصفها كيانًا مستقلًّا عن المصالح البشريَّة، كما يسعى إلى الكشف عن تأثير ممارسات الإنسان على البيئة المحيطة به، وتسليط الضَّوء على العواقب السَّلبيَّة النَّاجمة عن هذا التَّأثير. وتُجسِّد رواية (نزيف الحجر)؛ لإبراهيم الكوني هذا الطَّرح، يقول الرَّاوي: «الصَّخرة العظيمة تحد سلسلة الكهوف، وتقف في النّهاية كحجر الزَّاوية، تتواجه الشَّمس القاسية عبر آلاف السّنين، وقد زيّنت بأبدع رسوم إنسان ما قبل التَّاريخ في الصَّحراء الكبرى» (الكوني، 2020، ط3، ص.8). نجد تصويرًا للصَّخرة العظيمة الَّتي ظلَّت صامدة عبر التَّاريخ؛ ممَّا يعكس فلسفة وجوديَّة تُظهر الطَّبيعة كشاهدٍ على الزَّمن، ومتفاعل مع عناصره دون أن تكون مجرَّد تابع للإنسان. بل إنَّ هذه الصَّخرة المرسومة برسوم إنسان ما قبل التَّاريخ، تُمثِّل دليلًا على أسبقيَّة الطَّبيعة على الوجود الإنسانيّ، وتفوُّقها عليه من حيث الزَّمن والاستمراريَّة؛ ممَّا يجعلها عنصرًا مُستقلًّا لا يخضع للهيمنة البشريَّة، بل يسبقها ويتجاوزها في البقاء. حيث تتحدَّى مركزيَّة الإنسان من خلال إبراز أنَّ اللَّامركزيَّة هي المبدأ الحاكم داخل النّظام البيئيّ؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يوجد أو يستمرَّ بمعزل عن التَّوازن الطَّبيعيّ. كما تكشف الرّواية أنَّ أيَّ اعتداءٍ على النّظام البيئيّ –كالصَّيد الجائر – لن يُؤدِّي فقط إلى تدمير البيئة، بل سيؤدِّي في النّهاية إلى تدمير مركزيَّة الإنسان نفسه؛ ممَّا يجعل من التَّفاعل المتوازن بين الإنسان والطَّبيعة ضرورة وجوديَّة، لا مجرَّد خيار أخلاقيّ.

وتتعمَّق رواية (نزيف الحجر) في وصف العلاقة بين الإنسان والبيئة الصَّحراويَّة، موضِّحةً تأثيرها العميق على تكوين الفرد الَّذي يعيش في كنفها، كما تُسلِّط الضَّوء على ارتباط سُكَّان الصَّحراء الكبرى في (ليبيا) بالنّظام البيئيّ الخاصّ بها؛ إذ تُبرز الرّواية قسوة الصَّحراء، ودورها المحوريّ في تشكيل تجارب الشَّخصيَّات، ممَّا يجعل بنيتها السَّرديَّة تتضمَّن موضوعات بيئيَّة يُمكن تناولها من منظور النَّقد البيئيّ. من خلال هذا المنظور يُمكن تحليل تأثير النّظام البيئيّ الصَّحراويّ في تشكيل نظرة سُكَّان الصَّحراء إلى بيئتهم وإلى الغرباء الَّذين يفدون إليها. وهو ما يتجلَّى في حوار (أسوف) مع والديه حول الرُّسوم الَّتي تُزيّن صخور الجبال والكهوف؛ حيث أشارت أمُّه إلى أنَّها رُبَّما تعود إلى سكَّان الكهوف القدماء أو إلى الجنّ، ممَّا دفعه إلى التَّساؤل إن كان أصلهم من الجنّ (الكوني، 2020). وجاء ردّ والده ليُؤكِّد أنَّ الجنَّ فيهم الأخيار والأشرار قائلًا: «ونحن ننتمي إلى القبيلة الأخرى ... قبيلة الجنّ الَّتي اختارت الخير» (الكوني، 2020، ص. 9)، وهو ما دفع والد (أسوف) إلى اختيار العزلة وعدم مجاورة أحد. ويكشف هذا المشهد عن تأثير العيش في الصَّحراء على النّزعة الانعزاليَّة لوالد (أسوف)، إذ تُمثِّل الصَّحراء فضاءً يُرسّخ مفهوم التَّفرُّد والاستقلال عن الآخرين. كما يتيح النَّقد البيئيّ استكشاف البنية السَّرديَّة لهذه الرّواية، للكشف عن تمثيلات الممارسات البشريَّة تجاه عناصر الطَّبيعة، وتحليل كيفيَّة تجسيدها سرديًّا عبر رؤى فلسفيَّة وحضاريَّة تُؤكِّد أهمّيَّة الحفاظ على البيئة والتَّوازن الطَّبيعيّ للنُّظم البيئيَّة.

تكشف هذه الدراسة أنَّ من أبرز الموضوعات البيئيَّة الَّتي تتضمَّنها البنية السَّرديَّة لرواية: (نزيف الحجر) هي: تفاعل الإنسان مع بيئته، والتَّدهور البيئيّ، والممارسات الجائرة (الصَّيد الجائر الَّذي يمارسه الصَّيَّادون الغربيُّون). وبما أنَّ لغة السَّرد في الرّواية لم تُظهر تعليقًا بيئيًّا جليًّا حول هذه الممارسات السَّلبيَّة تجاه البيئة، يسعى الدراسة إلى استنطاق تمثيلات إبراهيم الكوني للمناظر الطَّبيعيَّة الصَّحراويَّة؛ استنادًا إلى الرُّؤية الَّتي تطرحها (راشيل كارسون) في (الرَّبيع الصَّامت)، حيث تقول: «الطَّبيعة لا توجد بمفردها» (Carson, 2015, p. 51). أي أنَّ تلك التَّمثيلات تعدُّ خطابًا مضمرًا يحبِّذ ممارسات الإنسان تجاه بيئته؛ ممَّا يجعل إبراهيم الكوني وفق تلك رؤية الدراسة تسلّط الضَّوء على الطُّرُق الَّتي تتفاعل بها الشَّخصيَّات مع محيطها الطَّبيعيّ، وكيف تعكس هذه العلاقة اهتمامات مجتمعيَّة وفلسفيَّة

أوسع، حيث يظهر ذلك في حديث (أسوف) مع الصَّيَّادين وطلبهم مساعدته في العثور على (الودَّان) لما يتمتَّع به من معرفة دقيقة في الظُّروف البيئيَّة؛ ولذا «يقولون إنَّك تعرف أين يُعشعش الطَّير» (الكوني، 2020، ص. 19). بناءً على ذلك يتناول النَّقد البيئيّ تمثيل القضايا البيئيَّة في البنية السَّرديَّة، وهذا ما يضمره إنكار (أسوف) لمعرفته عن مكان (الودَّان)، وتملُّصه من مساعدة الرَّجل الغربيّ في الصَّيد (الكوني، 2020). في هذا السّياق، تقول (شريل جلوتفيلتي) (Cheryll Glotfelty): «ما هو النَّقد البيئيّ إذن؟ ببساطة، النَّقد البيئيّ هو دراسة العلاقة بين الأدب والبيئة الماديَّة... فإنَّ النَّقد البيئيّ يتبع نهجًا محوره الأرض في الدّراسات الأدبيَّة» (Glotfelty, Harold, 1996, p. xviii)؛ يتضح من رؤية جلوتفيلتي أن رواية (نزيف الحجر) تضمنت قضايا الرَّوابط بين القضايا البيئيَّة والوعي البشريّ بها، كما أنها دعت إلى رؤية شموليَّة للوعي بقضايا البيئة، وكيفيَّة المحافظة عليها ويظهر ذلك من خلال الصّراع بين (أسوف) والصَّيَّادين الغربيّين.

إضافةً إلى ذلك يرى الباحث أنَّ أحد أكثر الجوانب اللَّافتة للنَّظر في (نزيف الحجر) هو الطَّريقة الَّتي يتمُّ بها تجسيد المناظر الطَّبيعيَّة الصَّحراويَّة، وإضفاء إحساس بالقوَّة عليها، ممَّا يجعلها كيانًا مُؤثِّرًا في السَّرد. في هذه الرّواية يفرض نمط العيش في الصَّحراء على الإنسان حالة من العزلة؛ حيث تُصوَّر هذه العزلة بوصفها «أعمق حقيقة في حالة الإنسان، حيث إنَّه الكائن الوحيد الَّذي يعرف أنَّه وحيد، وأنَّه يبحث عن آخر... كما أنَّ الإنسان، الَّذي «اخترع» نفسه بقول «لا» للطَّبيعة – مما يصنع من رفضه قبول شرط العزلة» (Paz, 1985, p.195). يصف الرَّاوي اللّقاء الَّذي جمع (أسوف) بـ(قابيل) و(مسعود) قائلًا: «إذن هو أنت الجنّي (أسوف) الَّذي آثر العيش في الخلاء الخالي عن معاشرة النَّاس؟ حدّثونا عنك في وادي الآجال» (الكوني، 2020، ص. 17)، فوصْفه بـ(الجنّي) يعني أنَّه إنسان منعزل متوحّش، يقطن في بيئة تحقّق شروط العزلة والانغماس البيئيّ مع مكوّنات الصَّحراء نفسها.

لقد وفّق إبراهيم الكوني في تصوير الطَّبيعة القاسية بوصفها قوَّة هائلة تُشكِّل حياة الشَّخصيَّات. فالصَّحراء في (نزيف الحجر) ليست مجرَّد خلفيَّة للأحداث، بل هي كيان ديناميكيّ يمارس تأثيرًا عميقًا على أفكار الشَّخصيَّات وأفعالها. فالصحراء تتميز بظروفها القاسية، كما أنّ العيش في ظلّ تحدّيات بيئيَّة مثّل جزءًا أساسيًّا من حياة الشَّخصيَّات، كما تُجسّد قسوة المشهد الصَّحراويّ صلابة التَّجربة الإنسانيَّة في مواجهة المحن والشَّدائد، حيث يعكس السَّرد طاقة مبهرة في التَّأقلم مع قسوة البيئة؛ تعبيرًا عن فلسفة التَّحدّي والصُّمود في الحياة الصَّحراويَّة.

علاوة على ذلك، تُصوَّر الصَّحراء في (نزيف الحجر) بوصفها مكانًا ذا أهمّيَّة روحيَّة، الشُّعور بالرَّهبة والإعجاب لامتدادها الشَّاسع وتشابه عناصرها، ممَّا يجعلها فضاءً تأمليًّا تبحث فيه الشَّخصيَّات عن المعنى الكامن في خصائصها التكوينية المتشعبة. وغالبًا ما تتعامل الشَّخصيَّات مع الصَّحراء كموقع للتَّأمُّل الرُّوحيّ، والسَّعي نحو كشف أبعاد الذَّات. كما يُوضِّح السَّرد: «إذا كانت الصَّحراء مُقدَّسة، فذلك لأنَّها مكان منسيٌّ يسمح لنا بتذكُّر المقدّس. ربَّما لهذا السَّبب تكون كلّ رحلة حجّ إلى الصَّحراء هي رحلة حجّ إلى الذَّات. لا يوجد مكان للاختباء، ولذلك نعثر على أنفسنا»(Williams,1992, p.148). يقول الرَّاوي: « قطع صلاته، ولعن الشَّيطان، وذهب ليُؤدِّي الفريضة في مواجهة أهمّ صخرة في وادي (متخندوش) ... عبر آلاف السّنين، حافظ الكاهن العظيم والودَّان المقدّس على ملامحهما المحفورة، ملامحهما الواضحة، العميقة، الجليلة، النَّاطقة في صلب الصَّخرة الصَّمَّاء ... كما يراه اليوم عندما أصبح قبلة لسيّاح النَّصارى» (الكوني، 2020، ص. 7-8). تحمل الصَّحراء قيمة روحيَّة عميقة بالنّسبة إلى (أسوف) بطل الرّواية؛ حيث يجد فيها فضاءً لممارسة تعبُّده بحرّيَّة، كما أنَّها تُشكّل موقعًا للآخر النّصرانيّ الَّذي يأتي لاستكشاف الآثار المرتبطة بالدّيانات القديمة. وقد نجح إبراهيم الكوني في التقاط هذه العلاقة الرُّوحيَّة المتشابكة بمهارة، حيث يُصوّر الصَّحراء بوصفها مصدرًا للتَّأمُّل والتَّساؤل الوجوديّ لكلّ مَنْ يسعى لاكتشاف ذاته، والارتباط بجذور الوجود الإنسانيّ.

لقد تحوّل المشهد الصَّحراويّ في (نزيف الحجر) إلى عاملٍ محوريّ فاعل يُؤثِّر على حياة شخصيَّات الرّواية حضاريًّا وفكريًّا، حيث يظهر هذا التَّأثير – ضمنيًّا– في البنية السَّرديَّة كما في بناء شخصية أسوف التي تعاني من الصراعات النفسية والفكرية، ممَّا يعكس الرُّؤية المضمرة لـ(إبراهيم الكوني) حول العلاقة الجوهريَّة بين الإنسان والبيئة. أنَّ (نزيف الحجر) تتضمَّن رؤية بيئيَّة تُركِّز على كيفيَّة تأثير الصَّحراء في وعي الشَّخصيَّات وخبراتها الحياتيَّة. ولعلّ هذا ما قصده (لورانس بويل) (Lawrence Buell) عندما أشار إلى دور الأدب البيئيّ في تشكيل المواقف والمشاعر البيئيَّة، مُؤكِّدًا أنَّ الحلول البيئيَّة لا ينبغي أن تقتصر على التَّقنية، بل يجب أن تشمل وعيًا بيئيًّا أعمق يتجذَّر في التَّجربة الإنسانيَّة وعلاقتها بالطَّبيعة. أنَّ إبراهيم الكوني ركَّز على القوَّة المحوريَّة لتوظيف الصَّحراء في البنية السَّرديَّة، ليس فقط بوصفها فضاءً جغرافيًّا، بل عنصرا مُؤثِّرا في خلق وعي حضاريّ لا يعتمد على التَّقنية لدى شخصيَّات الرّواية، وهو ما ينعكس – أيضًا – على تجربة القارئ. يقول الرَّاوي: «طردته الصَّحراء – أي (أسوف)– بالجفاف فاضطرَّ أن ينزل إلى الواحات؛ ليُجرّب حظَّه مع النَّاس لأوَّل مرَّة في حياته، فتزامن حجّه إلى ‹غات› مع حملة الاعتقالات الَّتي قام بها الكابتن (بورديللو) لشباب الواحات ... وتجهيز الحملة لغزو الحبشة» (الكوني، 2020، ص.18). وقبل أن يُجبر على النُّزوح إلى المدينة بسبب الجفاف، أغرقت السُّيول الصَّحراء؛ مُتسبِّبةً في مقتل العجوز شرّ قتلة يمكن أن يتخيَّلها الإنسان. ويكشف هذا المشهد العلاقة العميقة بين الطَّبيعة وتشكيل الوعي البشريّ، حيث يظهر كيف

ساهمت البيئة القاسية في صقل تجربة (أسوف)؛ ممَّا منحه القدرة على مواجهة الموت، وفهم سُبل النَّجاة.

كما أنَّ رواية (نزيف الحجر) تُبرز كيف تتفاعل شخصيَّة (أسوف) مع محيطها الطَّبيعيّ في الصَّحراء اللّيبيَّة؛ ممَّا يعكس رؤية أخلاقيَّة تجاه البيئة؛ إذ يُظهر إبراهيم الكوني من خلال السَّرد كيف يتجذَّر احترام الطَّبيعة في تجربة (أسوف) الحياتيَّة. يُوحِي هذا الطَّرح بفلسفة تقوم على العلاقة الأخلاقيَّة بين الإنسان والأرض وهو ما يشير إليه كاليكوت بقوله إنّ «الأرض مجتمع للمفهوم الأساسيّ للبيئة، لكن يجب علينا احترام الأرض وحبّها، وهذا امتداد للأخلاق»(Callicott, 1989, p.71). كما يقول الرَّاوي: «نعم لهذا السَّبب إذا جاورت الأشرار لحقك الشَّرّ، الإنسان الَّذي يُفضّل الخير لابدَّ أن يهرب من النَّاس حتَّى لا يلحقه الأذى. وكذلك يفعل هذا الفريق من الجنّ. سكنوا هربًا من الشَّرّ قديم الزّمان. ألا تسمعهم وهم يتحاورون في اللَّيالي المقمرة؟» (الكوني، 2020، ص. 10).

على ضوء ما تقدم، يمكن فهم أنَّ محاولة والد (أسوف) إقناعه بأهمّيَّة العيش في الصَّحراء وتجنُّبه الاحتكاك بالأشرار وما يجب عليه فعله من أجل البقاء تعكس رؤية فلسفيَّة ذات مغزى أخلاقيّ تكشف عمق تأثير العلاقة بين الإنسان والبيئة؛ إذ لا تظهر الصَّحراء كفضاء جغرافيّ فحسب وإنما كعنصر يحمي الإنسان من الانحراف الأخلاقيّ، ممَّا يبرز القيمة النَّقديَّة البيئيَّة الَّتي يمكن استنباطها من اللُّغة السَّرديَّة في هذه الرّواية.

وينشب الصراع في رواية (نزيف الحجر)، عندما يدخل (أسوف) في مواجهة مع مجموعة من الصَّيَّادين الَّذين يسعون إلى صيد حيوان (الودَّان)، وهو من الكائنات النَّادرة في الصَّحراء اللّيبيَّة. وهنا يُجسّد (أسوف) رمزًا للتَّوازن البيئيّ، في حين يُمثِّل الصَّيَّادون القوى المُدمِّرة للحياة الفطريَّة؛ ممَّا يُؤدِّي إلى اختلال التَّوازن البيئيّ. ويتقاطع هذا الصراع بين أسوف و الصَّيَّادين مع ما ذكره (ألدو ليوبولد) (Aldo Leopold) حول أهمّيَّة الحفاظ على التَّوازن الطَّبيعيّ، والتَّحذير من التَّأثير السَّلبي للممارسات البشريَّة الاستهلاكيَّة على النُّظم البيئيَّة لأن «يكون الشَّيء صحيحًا عندما يميل إلى الحفاظ على سلامة واستقرار وجمال البيئة. ويكون كارثيًا عندما يميل إلى خلاف ذلك» (Fox, 2006, p.40). هذا ما يمكن تعبر عنه رواية (نزيف الحجر) عندما يصف الرَّاوي الرَّغبة الجشعة لـ(قابيل) في الصَّيد وأكل اللُّحوم، ممَّا يُؤدِّي إلى تصادمه مع (أسوف) في رؤيتهما الوجوديَّة لكيفيَّة العيش في الصَّحراء. ففي حين يُجسّد (أسوف) نموذجًا للحياة المتناغمة مع البيئة، يعكس (قابيل) موقفًا استهلاكيًّا يتناقض مع مفهوم التَّوازن البيئيّ، ممَّا يُعمّق الصَّراع بينهما داخل البنية السَّرديَّة (الكوني، 2020). يقول الرَّاوي: «لا أستطيع أن أنسى ذلك (الودَّان) المسكون. من الصَّعب أن أنسى نظرة الفزع واليأس الَّتي رمقني بها عندما رأى البندقيَّة في يدي، وفقد الأمل في النَّجاة. مسكين (الودَّان) المسكون!» (الكوني، 2020، ص. 26) هذه الرُّؤية السَّرديَّة (إبراهيم الكوني) تفضح بشاعة ممارسات البشر لبيئتهم وتدميرهم لها من خلال ممارسة الصَّيد الجائر؛ إذ تمكن (الكوني) من تقديم رسالة توعية تُسلِّط الضَّوء على الآثار السَّلبيَّة الَّتي يُخلِّفها الإنسان، والَّتي تُؤدِّي إلى اختلال التَّوازن البيئيّ.

لقد واجه (أسوف) العديد من المصاعب عندما قرّر الانتقال إلى المدينة بعد أن عانت الصَّحراء سنوات من الجدب والجفاف. ويأتي هذا الانتقال مخالفًا لوصية والده الَّذي رفض العيش في المدينة ومجاورة النَّاس؛ معتقدًا أنَّه لا يستطيع التَّكيُّف مع الحياة الحضريَّة. وقد أراد رغبَ الأب في نقل هذه الرَّغبة إلى (أسوف)، ليس فقط كقناعة شخصيَّة، بل بدافع حمايته وضمان أمانه في العزلة الصَّحراويَّة، الَّتي تُمثِّل بالنّسبة له ملاذًا آمنًا بعيدًا عن تعقيدات المجتمع البشريّ (الكوني، 2020).

وهكذا قامت البنية السَّرديَّة في (نزيف الحجر) على ثنائيَّة الصَّحراء والمدينة، أو الطَّبيعة والحضارة، وتأثيرها على تفاعل الإنسان مع البيئة؛ إذ تعكس الرّواية الصّدام بين أساليب الحياة التَّقليديَّة والحديثة، إذ يواجه (أسوف) تحدّيات كبيرة في التَّكيُّف مع العالم الحضري، وهو ما يظهر في عجزه عن الحفاظ على تراثه الثَّقافي ونظرته الأخلاقيَّة للبيئة، ممَّا جعله يفقد إحساسه بالأمان، ويصبح أكثر عرضة للخطر عند انتقاله إلى المدينة. ويبلغ هذا الصّراع ذروته عندما يتمُّ اعتقال (أسوف) وإيداعه السّجن؛ ممَّا يعكس الطَّابع القمعي للمدينة كفضاء يُهدِّد الفرد، على عكس الصَّحراء الَّتي تُمثِّل له حرّيَّةً وانسجامًا مع النّظام البيئيّ. لذلك فإنّ الحفاظ على القِيَم الثَّقافيَّة والتَّوازن البيئيّ يُمكن أن يُوفِّر للإنسان حياة أكثر استقرارًا وأمانًا، على عكس اضطرابات الحياة الحضريَّة الَّتي قد تُعرِّضه للمخاطر والمتاعب.

علاوة على ذلك، تُؤكِّد البنية السَّرديَّة في (نزيف الحجر) أنَّ المحافظة على القِيَم الثَّقافيَّة ضمن النّظام البيئيّ ليست مطلبًا بيئيًّا مقتصرًا على المدينة، بل تمتدُّ إلى الصَّحراء الَّتي تتطلَّب منظومة أخلاقيَّة تحترم أسلوب العيش فيها. في هذا السياق، يُفهم أنَّ إبراهيم الكوني يُقدِّم رؤية نقديَّة بيئيَّة تُوحي بأهمّيَّة تحقيق التَّوازن الدَّقيق بين الحفاظ على المنظومة الأخلاقيَّة البيئيَّة، وصون النّظام البيئيّ نفسه. وهو ما يتفق مع ما أشار إليه (مايكل برانش) حول أهمّيَّة البُعد الأخلاقيّ في الحفاظ على البيئة؛ من أنَّ النَّقد البيئيّ يمكن اعتباره حركة توجيهيَّة تُسهم في إعادة تشكيل رؤية البشر للعالم البيئيّ، وتوسيع مداركهم وأخلاقهم؛ لتشمل جميع أنماط الحياة البشريَّة وغيرها (Branch, 1998). ذلك يظهر عندما قُتِلَ والد (أسوف) بسبب صراعه مع (الودَّان) الَّذي كسر رقبته. يقول الرَّاوي: «لقد كسر الحيوان المسكون رقبته، كما كسر هو يومًا رقبة ذلك (الودَّان) الَّذي انتحر» (الكوني، 2020، ص. 34). لقد أدرك إبراهيم الكوني أنَّ البيئة تتطلَّب توازنًا بيئيًّا يُنظِّم العلاقات البشريَّة وممارساتهم الثَّقافيَّة مع عناصر الطَّبيعة الأخرى، فعندما يختلُّ

هذا التَّوازن البيئيّ، فإنَّ ذلك يُوحي بانهيار المنظومة الأخلاقيَّة، الأمر الَّذي قد يُؤدِّي بالإنسان إلى مواجهة حتميَّة مع الموت.

المبحث الثَّاني: البيئة والتَّاريخ في رواية (أطفال منتصف اللّيل) لسلمان رشدي

بالرّغم من أنَّ رواية: (أطفال منتصف اللّيل) تُركِّز بشكل أساسيّ على التَّغييرات التَّاريخيَّة، إلَّا أنَّ هذه التَّغيُّرات المُؤثِّرة في حركة التَّاريخ أفرزت تحوُّلات بيئيَّة مُهمَّة في الهند، الوطن الذي ينتمي إليه الكاتب. ومن ثم فإنَّ تمثيل البيئة وقضاياها يُعدُّ من العناصر الَّتي يمكن استنطاقها من خلال سبر أغوار بنية السَّرد في الرّواية، تتضمَّن تمثيلات مضمرة تكشف العلاقة بين الطَّبيعة السَّرديَّة والنّظام البيئيّ في الهند. لذا تكشف الدراسة أنَّه من الضَّروري النَّظر في السّياقين التَّاريخيّ والبيئيّ اللَّذين تدور فيهما أحداث الرّواية؛ إذ تمسح أحداث الرّواية عدَّة عقود من التَّاريخ الهنديّ، بدءًا من حقبة الاستعمار البريطانيّ وحتَّى فترة ما بعد الاستقلال، وتشمل أحداثًا محوريَّة مثل: تقسيم الهند، وما ترتَّب عليه من تحوُّلات سياسيَّة واجتماعيَّة عميقة.

لقد كان سلمان رشدي في هذه الرّواية منشغلا بحركة التاريخ وحقيقة التَّحوُّلات السّياسيَّة التي لا تنفصل عن تأثيراتها البيئيَّة، مُعتبرًا أنَّ التَّغيُّر التَّاريخيّ كثيرا ما يؤدِّي إلى استغلال الموارد الطَّبيعيَّة، والتَّأثير على البيئة والسُّكَّان. ولعلَّ اختيار رشدي تجنُّب أيّ خاتمة أخلاقيَّة فظفاظة (Currie, 2010) في الرّواية يعكس رؤيته النَّقديَّة وموقفه من التَّاريخ بوصفه عمليَّة مُعقَّدة ومُتداخلة، وبذلك فإنَّ رؤية النَّقد البيئيّ في (أطفال منتصف اللّيل) ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتَّغيُّرات التَّاريخيَّة والبيئيَّة الَّتي تُجسِّدها البنية السَّرديَّة للرّواية؛ ممَّا يتيح مقاربة تحليليَّة تستكشف العلاقة بين التَّاريخ والسّياسة والبيئة في الأدب ما بعد الاستعماريّ.

إنَّ مركزيَّة البيئة تفتح آفاقًا جديدة للنُّقَّاد لدراسة القضايا البيئيَّة في إطار الخطاب الأدبيّ والثَّقافيّ؛ وعليه يُركِّز النَّقد البيئيّ على تحليل النُّصوص الأدبيَّة ودراستها الَّتي تتضمَّن تمثيلات ثقافيَّة للبيئات والمناظر الطَّبيعيَّة، كما يسعى إلى الكشف عن الرُّؤى الثَّقافيَّة للمجتمعات البشريَّة ضمن محيطها الطَّبيعيّ، واستكشاف كيفيَّة تأثير هذا المحيط على أنماط الثَّقافة البشريَّة. ومن هذا المنطلق يطرح النَّاقد البيئيّ تساؤلات، مثل: «كيف أسهمت الكتابة في التَّأثير على علاقة البشر بالعالم الطَّبيعيّ... بأيّ الطُّرق وإلى أيّ حدٍّ تتسَّرب الأزمات البيئيَّة إلى الأدب المعاصر والثَّقافة الشَّعبيَّة؟» (الرمادي والعدواني، 2022، ص. 16) أي أنَّ النَّقد البيئيّ يُركِّز على الموقع البيئيّ وليس مجرَّد المكان، بخلاف ما تفعله بعض المدارس النَّقديَّة الأخرى. وهذا يُبرز أهمّيَّة النَّقد البيئيّ من خلال كشفه عن النُّظم البيئيَّة داخل منظومة الثَّقافة البشريَّة، واستكشاف تنوُّع الطُّرق الَّتي تتفاعل بها الثَّقافات والمجتمعات المختلفة مع بيئاتها. وفي هذا السّياق يُظهر توظيف رمزيَّة الطَّبيعة في رواية (أطفال منتصف اللّيل) تأثير العلاقة بين البشر والطَّبيعة في حركة التَّاريخ.

إنّ إحدى الطُّرُق الَّتي يتجلَّى بها النَّقد البيئيّ في رواية (أطفال منتصف اللّيل) تتمثَّل في تصوير عناصر الطَّبيعة وتأثُّرها بالنَّشاط الإنسانيّ المُدمِّر؛ وذلك من خلال البنية السَّرديَّة الَّتي يُوظِّفها سلمان رشدي؛ إذ يوحي الرّوائيّ بأنَّ حركة تاريخ الهند الحديث تتضمَّن جماليَّات البيئة الطَّبيعيَّة الخصبة والمتنوِّعة، بما في ذلك الغابات والأنهار والجبال؛ لينطلق من هذا التَّصوير إلى إبراز كيفيَّة تغيُّر مُكوِّنات الطَّبيعة، وتعرُّضها للتَّدمير نتيجة للتَّدخُّل البشريّ (رشدي، 2009). وهذا التَّدخُّل البشريّ –كما يظهر في الرّواية – قد يُؤدِّي إلى ممارسات اجتماعيَّة قائمة على الظُّلم والاضطهاد تجاه البشر أنفسهم. ويتقاطع هذا الطَّرح مع ما ذكرته (بيبا مارلاند) في مقالتها الموسومة بـ»مقدّمة في النَّقد البيئيّ» من أنَّ نقَّاد البيئة يرون أنَّ هيمنة الإنسان على الطَّبيعة تُؤدِّي إلى هيمنة الإنسان على أخيه الإنسان. ومن هذا المنطلق يعتقد هؤلاء النُّقَّاد أنَّ الخطوة الأولى لكشف الممارسات القمعيَّة ضدّ البشر تبدأ بمعالجة تعامل الإنسان مع البيئة أوَّلًا (الجبيلي، 2021)، كما تُسلِّط رواية (أطفال منتصف اللّيل) الضَّوء — أيضًا– على تأثير الحضارة والتَّمدُّن الحديث على بنية الطَّبيعة وعناصرها، نتيجةً توسُّع المدن وإنشاء المصانع، مما يُؤدِّي إلى فقدان التَّنوُّع البيولوجي واضطراب النُّظم البيئيَّة.

في هذا السياق أنَّه يمكن دراسة (أطفال منتصف اللّيل) من خلال عدسة النَّقد البيئيّ لما بعد الاستعمار، والَّذي يأخذ في الاعتبار تأثير الاستعمار على عناصر الطَّبيعة ونُظم المعرفة الأصليَّة (Marzec, 2015)؛ لأن(أطفال منتصف اللّيل) تصوِّر الأثر الاستعماريّ البريطانيّ على النّظام البيئيّ في الهند، وكيف استمرَّ ذلك الأثر في تشكيل النَّظرة الرَّسميَّة للبيئة في الهند، والمواقف تجاه الطَّبيعة؛ لأن هذه الرواية مشبعة بوجود «خيط فلسفيّ ونفسيّ مستمرّ في الكتابة ... عن الإنسان والطَّبيعة، والَّتي تستكشف هذه القضايا الأزليَّة للحياة والموت» (Alex, 2007, P.99)؛ وبالتَّالي فإنَّ تصوير رشدي المضمر للقضايا البيئيَّة في الرّواية يجعل الدراسة تسعى إلى سبر أغوار البنية السَّرديَّة من أجل الكشف عن تأثير تلك القوَّة الاستعماريَّة على البيئة من خلال ممارسات ذكرتها الرّواية، مثل التَّأثير الحضاريّ، وإنشاء المصانع، وما يتعلَّق بذلك من مصالح الاستعمار، ويتضح هذا في قول السارد»سمعت (بادما تكتكة مونباتن) ... صناعة إنكليزيَّة، دقَّة لا نظير لها الآن، المصنع خال، الدُّخان يتصاعد» (رشدي، 2009، ص. 150). أي توحي البنية السَّرديَّة بأنَّ المصنع الإنجليزيّ سبَّب كارثة بيئيَّة بتصاعد الدُّخان، والَّتي تُؤثِّر في قضايا الإنسان والطَّبيعة، وما يتعلَّق بهما من نظرةٍ وجوديَّةٍ للموت والحياة.

ففي (أطفال منتصف اللّيل) يُقدِّم الروائي الطَّبيعة بكافَّة عناصرها كمرجعيَّة رمزيَّة أدبيَّة تُؤكِّد التَّرابط بين البشر والبيئة، «ومع ذلك، نظرًا لأنَّ كُلَّ هذه الرَّمزيَّة الأدبيَّة: بنية الطَّبيعة المعقَّدة إلى ما لا نهاية، أيضًا يمكن للعقل أن يستجيب لها

أيًّا كانت الطَّريقة الَّتي يستجيب بها الفرد؛ لذا فإنَّها تقدِّم أحد المسارات الأولى والأكثر شيوعًا الَّتي يمكن من خلالها إرباك الوعي الإنسانيّ البيئيّ» (Buell, 1995, p 221). لذا تتضمَّن هذه الرّواية أحداثًا مرتبطة بتجارب الشَّخصيَّات داخل نظام الطَّبيعة، مثل: هطول الأمطار، وذكريات مثيرة؛ ممَّا يكشف تأثير ذلك النّظام البيئيّ على حالتهم العاطفيَّة والنَّفسيَّة. يجد الباحث في هذه الرّواية أنَّ تكرار الرّياح الموسميَّة والأمطار، يحمل رمزيَّة الولادة الجديدة والتَّجديد؛ كما يظهر عند (فيدا أميرالدا) الَّتي تخرج في الشَّارع هاربة من دون منديل على رأسها؛ مما سبب لها مشاكل مع أسرتها (رشدي، 2009، ص. 83). أي في (أطفال منتصف اللّيل) يخلع سلمان رشدي القناع عن العلاقة الجدليَّة بين عناصر البيئة والتَّحوُّل الاجتماعيّ، فيتضح أنَّ المطر –باعتباره عنصرًا بيئيًّا – ليس مجرَّد ظاهرة مناخيَّة، إنَّما هو محفِّزٌ وجوديٌّ يدفع (فيدا أميرالدا) إلى الخروج على قيود التَّقاليد؛ ممَّا يفيد أنَّ (سلمان رشدي) وظَّف المطر استعارةً حيَّة لما يجري في المجتمع الهندي من متغيرات ضمن حركة تاريخه المعاصرة.

علاوة على ذلك، تضمر لغة السرد عند رشدي رؤى موضوعيَّة عميقة؛ من خلال تصويره الحيوانات والنَّباتات؛ ممَّا يُوحي بما تحمله من أهمّيَّة ثقافيَّة وبيئيَّة، وهذا يُوضّح ما تضمره البنية السَّرديَّة في رواية (أطفال منتصف اللّيل) من إعلاء الانتماء للعلاقات الطَّبيعيَّة مستوى العلاقات الاجتماعيَّة بين الشَّخصيَّات (برانش، 2007)، من ذلك تكرار صور الثَّعابين والقردة؛ حيث يقول الرَّاوي: «أبناء العم يصمتون – القردة في مقاودها توقف تأرجحها وذبذبتها – أفاعي الكوبرا تلتفّ على نفسها في السّلال، وقارئ البخت يدور ويدور» (رشدي، 2009، ص. 122). فالنَّقد البيئيّ يستفيد من إدراج علم الأحياء «في نظريَّات المعرفة لكشف التَّفاعل البشريّ مع عناصر الطَّبيعة» Murphy ,2009 (p.8,)؛ من أجل كشف التَّصوُّرات العامَّة للبيئة، والتَّأثير على مواقف البشر وسلوكياتهم تجاه الطَّبيعة، وأنظمة البيئة الَّتي تطرحها الأعمال الأدبيَّة والثَّقافيَّة. أي أنَّ النَّقد البيئيّ يسعى إلى الكشف عن تمثيلات العلاقة بين البشر، وبقيَّة الأجناس الأخرى غير البشريَّة من أجل إعادة التَّفكير في السُّلوكيَّات الاجتماعيَّة والممارسات؛ توحي حركة القردة والثَّعابين بارتباطها تقليديًّا بالولادة الجديدة والتَّحوُّل في الأساطير الهنديَّة، لكنَّها تُمثِّل – أيضًا – التَّوازن الدَّقيق للنُّظم البيئيَّة الَّذي ظهر في خوف القردة على قارئ البخت؛ ممَّا جعل (أمينة) – أحدى شخصيَّات (أطفال منتصف اللّيل) – تطلب تفسيرًا لما يحدث، هذا التَّوظيف لتلك العناصر الطَّبيعيَّة في السَّرد يُشير إلى تأكيد رشدي على الصّلة الَّتي لا تنفصم بين التَّجربة البشريَّة والعالم الطَّبيعيّ، ممَّا يُسلِّط الضَّوء على تأثير التَّغيُّرات البيئيَّة على حياة الأفراد كما حدث لقارئ البخت (رشدي، 2009).

وتبرز في (أطفال منتصف اللّيل) غابة (المانغروف) الكثيفة في ثنايا البنية السَّرديَّة باعتبارها مرجعيَّة ثقافيَّة وتاريخيَّة، تُشير رمزيًّا إلى النّظام الاجتماعيّ والسّياسيّ المعقَّد للهند في فترة ما بعد استقلالها إنَّه من خلال النَّقد البيئيّ تتميَّز (السّندربانز)، وهي غابة كثيفة من غابات (المانغروف) بكثرة الجداول المائيَّة المتشعّبة؛ ممَّا يكشف المشهد السّياسيّ والاجتماعيّ الفوضويّ والمعقَّد للهند بعد استقلالها؛ وهو ما يعني أنَّ صعوبة النّظام البيئيّ لتلك الغابات واستحالة اختراقه بوقت قصير، يرمز إلى صعوبة التَّحدِّيات الَّتي تواجهها الهند، مثل: الصّراعات الاجتماعيَّة، وبناء الهويَّة الجديدة؛ بعيدًا عن التَّأثير الاستعماريّ البريطانيّ، وهذا يظهر في قول السارد»بدا وكأنَّ الغابة السّحريَّة بعد أن أنزلت بهم عذابها لما ارتكبوه من سوء أفعال، طفقت تقودهم بيدها نحو حالة جديدة من النُّضج، وهكذا بدأت ترفرف آمالهم كالأطياف المخيّمة في غابة اللّيل» (رشدي، 2009، ص. 527). أي إنَّ رشدي يُضفي على الطَّبيعة بُعدًا أخلاقيًّا وتأويليًّا. فالغابة هُنا ليست مجرَّد خلفيَّة محايدة للأحداث، بل هي كيان نشط يعاقب الشَّخصيَّات على أفعالها، ويُعيد تشكيلها عبر الألم والمعاناة؛ ممَّا يعكس فكرة أنَّ العلاقة بين الإنسان والطَّبيعة ليست علاقة استغلال فحسب، بل علاقة تفاعليَّة متبادلة. من خلال منظور النَّقد البيئيّ يمكن فهم هذا المشهد بوصفه إعادة تأكيد على أنَّ التَّحدِّيات البيئيَّة والاجتماعيَّة والسّياسيَّة مترابطة بشكل وثيق. كما أنَّ توظيف رمزيَّة الطَّبيعة في هذا السّياق يُشير إلى أنَّ الهند الجديدة لا يمكن أن تنفصل عن بيئتها، أو تتجاهل تأثيره العميق للتَّاريخ الاستعماريّ في أنظمتها البيئيَّة والاجتماعيَّة. أي تتحوَّل الغابة في السَّرد إلى كيان يكشف عن أزمات الهند ما بعد الاستعمار، ويعكس التَّحوُّلات الَّتي تمرُّ بها الشَّخصيَّات والمجتمع على حدٍّ سواء.

من خلال مقاربة النَّقد البيئيّ يمكن اعتبار تمثيل (السّندربانز) في (أطفال منتصف اللّيل) عمليَّة سرديَّة تتجاوز وصف البيئةِ الطبيعيَّةِ إلى تقديم مشهدٍ سرديٍّ رمزيٍّ يمكن من خلاله اكتشاف التَّحوُّلات الاجتماعيَّة والسّياسيَّة والثَّقافيَّة في الهند خلال الفترة الَّتي أعقبت الاستقلال. يسعى رشدي ضمنيًّا من خلال تمثيل (السّندربانز) واستحضارها في هذه الرّواية إلى التَّأكيد على أهمّيَّة فهم التَّفاعل واحترامه بين البشر وبيئتهم، وهذا ما طرحه كتاب (البيئة والمجتمع: مقدّمة نقديَّة)؛ حيث يُؤكِّد المُؤلِّفون على دور الأدب البيئيّ في تعزيز قيم الاحترام والتَّفاعل الأخلاقيّ بين البشر ومحيطهم الطَّبيعيّ (روبنس، 2017). ويرى الباحث أنَّ تصوير الغابة في (أطفال منتصف اللّيل) يدعو – أيضًا– إلى التَّفكير في العلاقة بين الإنسان والطَّبيعة، وظهر ذلك من خلال دور الغابة ذات الأشجار الطَّويل الَّتي تحجب كُلّ أمل بالشَّمس (رشدي، 2009). وبعبارة أخرى، يُوحي رشدي إلى أنَّ الممارسات البشريَّة تجاه الطَّبيعة تكشف عن عمى البصيرة الَّذي يقود إلى تدهور النّظام البيئيّ؛ ممَّا يخلق حجابًا يحجز الأمل في حياة البشر؛ لذا يرى الباحث أنَّه من خلال عدسة النَّقد البيئيّ يمكن اعتبار (السندربانز) في هذه الرّواية ليست مجرَّد مكان تمارس به الأنشطة البشريَّة، وإنَّما قوَّة تنبعث من البنية السَّرديَّة تدعو القارئ إلى إعادة التَّفكير في

إيجاد علاقة طبيعيَّة إيجابيَّة بين الإنسان والبيئة؛ لكي يحصل على حياةٍ مُنسجمةٍ تُبرز فيها قِيَم الاحترام للطَّبيعة وعناصرها؛ الأمر الَّذي يمنح الإنسان الأمل بحياته

كما أنَّه يُمكن النَّظر إلى صمود (السّندربانز) أمام الممارسات البشريَّة السَّلبيَّة تجاه النّظام البيئيّ؛ يقول الرَّاوي: «بعد هذا الظُّهور الأوَّل، طغت عليهم جميعًا حالة ذهنيَّة باتوا يعتقدون معها أنَّ الغابة قادرة على فعل كُلّ شيء، والحقيقة أنَّها أمست كُلّ ليلة ترسل لهم عقابات جديدة» (رشدي، 2009، ص. 526). إنَّ تصوير الغابة وقدرتها على تحمُّل العواقب، وصمودها عبر التَّاريخ يمكن اعتباره إشارة ضمنية لمرونة الثَّقافة والنّظام الاجتماعيّ الهنديّ الَّذي ينبغي أن يتحوَّل ويتكيَّف مع الظُّروف؛ لكي يتجنَّب العواقب الكارثيَّة الَّتي تحدث في التَّاريخ؛ ممَّا جعل هذا المجتمع – بما تتضمَّنه بنية الرّواية – يستمرُّ، ويتميَّز بالتَّكيف رغم الاضطرابات والتَّحوُّلات بما يشبه صمود (السّندربانز)؛ لذا يرى الباحث أنَّ توظيف رشدي لرمزيَّة الطَّبيعة يُشير – ضمنيًّا– إلى دورها في ضبط العلاقات البشريَّة، فلا صمود للبشر إلَّا من خلال محافظتهم على صمود الطَّبيعة نفسها.

أنَّ رمزيَّة الهويَّة الجديدة تكشفها محاولة (سليم) استرجاع ذاكرته في (السّندربانز)؛ إذ يقول الرَّاوي: «وهكذا وجدوا أنفسهم يحملهم التَّيار ويدفعهم إلى الأمام بقوة لا يتصوّرها خيال ... فخرجوا من قلب غابة الأحلام الَّتي كنت قد هربت إليها أملًا بالسَّلام، ثُمَّ وجدت نفسي قد عُدّتُ مرَّة أخرى إلى عالم الجيوش والتَّاريخ» (رشدي، 2009، ص. 532). أي مثلما فقد (سليم) إحساسه بالذَّات، كانت الهند في خضم سعيها نحو إيجاد طريق جديد تُعيد من خلاله التَّعريف بنفسها، والتَّخلُّص من آثار الماضي الاستعماريّ؛ بالتَّالي يكشف النَّقد البيئيّ بأنَّ تمثيل الغابة – سرديًّا – يكشف دور رمزيَّة البيئة في اكتشاف الذَّات وتحوّلها. كما تعتبر (السّندربانز) الَّتي حضرت سرديًّا بأنَّها ساحة بيئيَّة تضمَّنت أحداثًا تاريخيَّة مُهمَّة، لها تأثير كبير على العلاقات في الهند. يقول الرَّاوي: «لكن لا تزال هناك مطاردة بلا معنى العدو لا يراه أحد فالبوذا يقول أمضوا في ذلك الطَّريق ... يجدون أنفسهم في غابة كثيفة إلى درجة لم يكن التَّاريخ نفسه قد عرف طريقه إليها: وهكذا تبتلعهم (السّندربانز)» (رشدي، 2009، ص. 520)؛ حيث يمكن اعتبار (السّندربانز) بنظامها البيئيّ رمزًا يكشف النَّسيج الاجتماعيّ الهنديّ مُتعدِّد الثَّقافات واللُّغات والأديان، والَّتي تتعايش بتناغم وتكاتف في مواجهة التَّحدّيات كما هو الحال في أشجار (المانغروف) في غابات (السّندربانز).

كما جاء في رواية (أطفال منتصف اللّيل) أنَّ البطل (سليم) يمتلك مهارات فريدة مرتبطة بالطَّبيعة. أي أنَّ الأحداث السَّرديَّة المرتبطة بشخصيَّة (سليم) تكشف تأثير البيئة؛ ممَّا يجعلها مُؤثِّرة بشكل غير مباشر في حركة تاريخ الهند المعاصر.

كما أنَّ تجارب (سليم) وممارساته الَّتي تحدث في أنحاء مُتفرِّقة من الطَّبيعة؛ سواء في الغابة أو الرّيف تتغيَّر بتغيُّر الظُّروف البيئيَّة؛ الأمر الَّذي يجعل الباحث يرى أنَّ هذه البنية السَّرديَّة تُوحي بأنَّ التَّغييرات الاجتماعيَّة والسّياسيَّة مرتبطة بحياة الأفراد الَّذين يتأثَّرون بتغييرات البيئة نفسها. في هذه الرّواية يمتلك (سليم) قدرة هائلة على الشَّم؛ فهو صاحب عضو الشَّم الأعظم كبرًا، وموهبة في التَّاريخ» (رشدي، 2009، ص. 49)، هذه القدرة أثَّرت على الكثير من تجاربه داخل البنية السَّرديَّة للرّواية؛ لكن قد تشير هذه القدرة العظيمة على الشَّم إلى أهمّيَّة الوعي والاتّصال بالعالم الطَّبيعيّ مُؤدِّيةً إلى تضمين البنية السَّرديَّة للرّواية إيحاءات بالاهتمام البيئيّ؛ يقول» إنَّ الشَّيء الَّذي كان قد ابتدأه اكتشافي للظُّلم (شم رائحة البصل) أكمله غضبي وهو مخفي لا تراه العيون. وقد مكَّنني الغضب من مقاومة إغراءات الاختفاء كليًّا؛ إذ جعلني أصم تمامًا» (رشدي، 2009، ص. 553). فقدرته على شمّ البصل – عنصر طبيعيّ– يقود إلى فهم المشاعر والحقائق للبشر؛ ممَّا يكشف ارتباط العالم الطَّبيعيّ بالحدس والفهم للممارسات غير الماديَّة في المجتمعات البشريَّة. هذه القدرة المتميّزة لحاسة الشَّم عند (سليم) تكشف ارتباطه بمكوّنات البيئة الَّتي تُساعده على فهم الحقائق وكيفيَّة الوصول إلى المعرفة. بالتَّالي في هذه الرّواية، ومن خلال النَّقد البيئيّ يمكن اعتبار حاسة الشَّم المرتبطة بالطَّبيعة نفسها تكشف عن دور النّظام البيئيّ في ربط الإنسان ببيئة في أجواء شبه صوفيَّة، تخلق علاقة انسجام بين الإنسان وبيئته.

ويقابل هذا الانسجام صراع بين (سليم سيناء) وهويَّته الخاصَّة، وشعوره بالانتماء في عالم مُتغيّر بوتيرة عالية. فرغم أنَّ قضيَّة الهويَّة في ظلّ أحداث تاريخيَّة متسارعة حضرت بكُلّ وضوحٍ في البنية السَّرديَّة للرّواية؛ إلَّا أنّ ذلك الانتماء للهويَّة أضمر نظرة بيئيَّة للخسائر النَّفسيَّة والعاطفيَّة للتَّدهور البيئيّ؛ ممَّا سبَّب نزوحًا بعض السُّكَّان. جاء في الرّواية من خلال تصوير حي (ghetto)، أنَّ (سليمًا) وجد نفسه في وقتٍ ما، في منطقة تكشف نظام الحياة في الأحياء الفقيرة الَّتي ظهرت بسبب نزوح الأفراد بعد الممارسات الحضريَّة الَّتي أثَّرت على نظام البيئة. هذا النّظام الحضريّ يكشف الظُّروف المعيشيَّة، والقضايا الاجتماعيَّة والبيئيَّة الَّتي تواجه بعض السُّكَّان في المدن سريعة التَّحضُّر (رشدي، 2009). ومن هنا فإنَّ الرّواية بمثابة تعليق مُؤثِّر على التَّرابط بين قضايا العدالة البيئيَّة والاجتماعيَّة، وفقدان هذه العدالة البيئيَّة جاء نتيجة الممارسات البشريَّة تجاه البيئة. أي كان السُّكَّان يعيشون في نظامٍ ريفيّ يكفل لهم الحياة الكريمة من خلال ما تنتجه لهم حقولهم الزّراعيَّة، ولكن بعد عمليَّات التَّحضُّر والتَّمدُّن والتَّعدِّي على نظام البيئة أصبح السُّكَّان يعيشون حالةً من الفقر سبَّبها التَّدهور البيئيّ، والَّذي ظهر في هذه الرّواية في قضيَّة تدمير ملكيَّة (ميثوولد)؛ إذ يقول الرَّاوي: «في تلك الأثناء وأنا أجهل تمامًا كم كنت وشيكًا من كشف حقيقتي كنت أحاول التَّوصُّل إلى نوع من التَّوافق مع إقطاعيَّة (ميثوولد) الَّتي حدث فيها هي الأخرى عدد

من التَّحوُّلات» (رشدي، 2009، ص. 362)؛ حيث إنَّ تلك الأرض تمَّ تطويرها وانتقال ملكيَّتها لتصبح حيًّا حضريًّا مرموقًا، ولكن هذا التَّطوير الحضريّ جاء على حساب مساحات شاسعة من الأشجار والنَّباتات الطَّبيعيَّة؛ ممَّا جعل (بومباي) تتحوَّل إلى مركزٍ حضريٍّ بعد الاستقلال (رشدي، 2009). كما يُصوِّر رشدي تضاءل المساحات الخضراء عندما استبدلت بمبانٍ خرسانيَّة، وأحياء سكنيَّة مزدحمة في مدينة (بومباي)، وهذا يضمر أنَّ مدينة (بومباي) المتصالحة مع البيئة ونظامها الحيويّ، أصبحت تعيش حالةً من التَّدهور البيئيّ. أي كشفت البنية السَّرديَّة الَّتي ركَّزت بشكلٍ أساسيٍّ على حركة التَّاريخ في مدينة (بومباي) عن قضيَّة بيئيَّة مركزيَّة.

كما أنَّ التَّغيير البيئيّ صوَّرته رواية (أطفال منتصف اللّيل) من خلال طرح قضايا من تاريخ الهند المعاصر؛ حيث صوَّر (سلمان رشدي) قضيَّة (كشمير) من النَّاحية السّياسيَّة؛ ممَّا تضمَّن – جزئيًّا – البُعد البيئيّ. الأمر الَّذي يكشف « أنَّ كُلَّ استفسارٍ حول التَّسليم الفنيّ للبيئة عاجلًا أو آجلًا بالسُّؤال التَّالي حول كيفيَّة تفسير العلاقة بين عالم النَّصّ، وعالم التَّجارب التَّاريخيَّة، أو التَّجارب الحيَّة» (Buell, 1995, p.30). أي يرى الباحث أنَّ البنية السَّرديَّة المُتضمَّنة للنَّظرة التَّاريخيَّة للقضيَّة تدلُّ على أنَّ فقدان جزء من أرض (كشمير) ليس خسارة جيوسياسيَّة فحسب، وإنَّما هو فقدان لبيئة خصبة. في الرّواية ظهرت (كشمير) في البداية على أنَّها بيئة هادئة ومثاليَّة، وغير ملوَّثة، ولكن هذا التَّصوير يتغيَّر مع تقدُّم السَّرد المتعلِّق ظاهريًّا بحركة التَّاريخ، وما تضمَّنته من أحداثٍ سياسيَّة مُتعلِّقة بـ(كشمير)، ولكنَّها ضمنيًّا قدَّمت البنية السَّرديَّة تلك القضيَّة على أنَّ لها آثارًا بيئيَّة جاءت نتيجة فقدان المكان المثاليّ النَّقيّ الَّذي أصبح مكانًا للقتال والوحشية. أي أنَّ التَّدهور البيئيّ خَلَقَ الوحشيَّة والاضطرابات والصّراعات المؤلمة (رشدي، 2009).

يسعى النَّقد البيئيّ إلى استكشاف تمثيل الطَّبيعة والبيئة في الأعمال الأدبيَّة والثَّقافيَّة. كما يطمح النَّقد البيئيّ إلى إبراز تعامل النُّصوص الأدبيَّة مع الموضوعات والاهتمامات البيئيَّة؛ وفق رؤى جماليَّة وفلسفيَّة؛ من خلال تحليل توظيف الصُّور الطَّبيعيَّة والنُّظم البيئيَّة وتمثيل العلاقات البشريَّة مع عناصر البيئة. وهذه الموضوعات البيئيَّة كانت محلّ اهتمام النّزعات الفلسفيَّة لا سيَّما ما بعد الإنسانيَّة (post humanism) الَّتي تناقش «موضوع الإنسان داخل النّظام البيئيّ من خلال الحدود المائزة، أو حتَّى إزالتها الَّتي فرضت على جنسنا للفصل بينه وبين بقيَّة المحيط الوجوديّ من الكائنات الحيَّة» (الرمادي والعدواني، ص. 369). تكشف هذه الدراسة أنَّه يمكن رؤية تمثيل النَّقد البيئيّ في (أطفال منتصف اللّيل) بالطَّريقة الَّتي تعالج بها الرّواية قضايا العدالة البيئيَّة، والنَّظر إلى الأبعاد البيئيَّة والاجتماعيَّة للنَّقد البيئيّ؛ حيث تكشف بنية السَّرد في (أطفال منتصف اللّيل) الجوانب الثَّقافيَّة والرُّوحيَّة للعالم الطَّبيعيّ؛ من خلال الواقعيَّة السّحريَّة، إذ إنَّ الرّواية غارقة في الأساطير والفولكلور والرَّمزيَّة المتجذِّرة بعمق في المشهد الطَّبيعيّ الهنديّ (Zamora, Wendy, 1995)، وتلعب هذه العناصر دورًا مُهمًّا في تشكيل هويَّات الشَّخصيَّات ووجهات النَّظر؛ مُؤدِّيًا ذلك إلى أنَّ تمثيل النَّقد البيئيّ في الرّواية يمتدُّ إلى ما هو أبعد من البيئة الماديَّة؛ ليشمل الرَّوابط الثَّقافيَّة والرُّوحيَّة الَّتي تربط تصل الأفراد والمجتمعات بالعالم الطَّبيعيّ.

كما أنَّ النَّقد البيئيّ يتجاوز تمثيلات البيئة في الأدب والثَّقافة؛ ليناقش الممارسات الإنسانيَّة والرُّؤى الفلسفيَّة لعناصر البيئة الَّتي تتضمَّنها بُنى النُّصوص الأدبيَّة والثَّقافيَّة. حيث يجد الباحث في الموسوعة الفلسفيَّة (لستانفورد) أنَّ «الأخلاقيَّات البيئيَّة هي أحد فروع الفلسفة المعاصرة الَّتي تهتمُّ بدراسة العلاقة الأخلاقيَّة للبشر بالبيئة ومضامينها غير البشريَّة، وكذلك قيمتها ومكانتها الأخلاقيَّة»(Norton, Hannon, 2023). يُعطِّي هذا الفرع الفلسفيّ تحدِّي الأخلاقيَّات البيئيَّة لمركزيَّة الإنسان المتأصِّلة في التَّفكير الأخلاقيّ الغربيّ التَّقليديّ. أي يسعى النَّقد البيئيّ بالاعتماد على رُؤًى من الفلسفة والأخلاق البيئيَّة، إلى دراسة الآثار الأخلاقيَّة للأنشطة البشريَّة الَّتي تُؤثِّر على البيئة، وكذلك الطُّرُق الَّتي يمكن أن يساهم بها الأدب والثَّقافة في التَّفكير الأخلاقيّ والوعي البيئيّ. في (أطفال منتصف اللّيل) يدمج سلمان رشدي من خلال الواقعيَّة السّحريَّة موضوع الطَّبيعة برؤية ثقافيَّة روحيَّة للشّفاء والمرونة. هذا الموضوع مُنسجمٌ مع الرُّؤى الفلسفيَّة البيئيَّة الَّتي تدعو إلى التَّصالح المستدام مع قوَّة النّظام الطَّبيعيّ. ولقد ذكر (جرج جرارد) في كتابه: (النَّقد البيئويّ) أنَّ التَّقاطع بين النَّقد البيئيّ مع والجوانب الثَّقافيَّة داخل العمل الأدبيّ كان محلّ اهتمام (ريتشارد كيرج) (Richard Kerrdge) الَّذي يعتقد أنَّ «النَّاقد البيئويّ يُطارد الأفكار البيئيَّة وتجلّياتها أينما وجدت؛ ليرى بوضوح جدلًا جاريًا – غالبًا على نحوٍ خفيٍّ جُزئيٍّ – في فضاءات ثقافيَّة متنوِّعة. وأكثر ما يهمُّ النَّقد البيئويّ تقييم النُّصوص والأفكار؛ وفقًا لترابطها المنطقيّ، وجدواها كاستجابات للأزمة البيئيَّة»(جرارد، 2009، ص. 16–17). بالرّغم أنَّ هذه الرّواية ركَّزت على القضايا التَّاريخيَّة والسّياسيَّة والثَّقافيَّة في المجتمع الهنديّ، إلَّا أنَّها كشفت عن دور الطَّبيعة في العالم باعتبارها ملجأ للفرد الَّذي يسعى للهروب من الفوضى والاضطرابات في مجتمعه. ظهر ذلك عندما سرد (سليم) لتاريخ عائلته وتجاربه الخاصَّة، وفي معرض حديثه عن لحظات ولادة الأطفال وما واكبها من أحداث أثَّرت على عمليَّة الولادة نفسها – باعتبارها مجازًا عن تاريخ الهند–إذ جاء على لسان الراوي أن فتاة ساحرة كانت تعيش في غابة (جير) « تملك القدرة على شفاء المرض بلمسة يدها، كما أنَّ هناك ابن مزارع شاي في سيلونغ لا يمكنه أن ينسى شيئًا رآه في حياته أو سمعه، أمَّا الأطفال الَّذين ولدوا في الدَّقيقة الأولى من السَّاعة – فقد احتفظت لهم السَّاعة الخارقة للطَّبيعة بأعظم المواهب الَّتي يحلم بها الإنسان» (رشدي، 2009، ص. 285). هذه العمليَّة السَّرديَّة تشبه الدَّورات الطَّبيعيَّة للنُّمو والانحلال

والتَّجديد. أي استخدم رشدي الطَّبيعة باعتباره باعتبارها مرجعيَّة مجازيَّة للتَّجديد والمرونة؛ لذا يرى الباحث أنَّه في (أطفال منتصف اللّيل) للطَّبيعة دور في الشّفاء والمرونة؛ ممَّا يُوحي بأنَّ تجاوز شخصيَّات الرّواية تجاربهم الشَّخصيَّة جاء بدعمٍ من قوَّة الطَّبيعة الَّتي ينبغي عليهم المحافظة عليها، وهذا يكشف أنَّه من خلال النَّقد البيئيّ يمكن استنباط ما أضمرته لغة سلمان رشدي السَّرديَّة عن الأفكار البيئيَّة، ودور الطَّبيعة في تحقيق الرَّفاهيَّة العاطفيَّة والنَّفسيَّة (Herdiana, 2018). وهذا يكشف أنَّ هذه الرّواية تطرح – بشكل غير مباشر – أسئلة ملحّة حول مسؤوليَّة الأفراد والمجتمعات في حماية البيئة.

الخاتمة والنتائج

إنَّ النَّظريَّة النَّقديَّة المعاصرة شهدت تحوُّلات معرفيَّة منذ ستينيَّات القرن العشرين الماضي؛ إذ أصبحت المناهج النَّقديَّة تُركِّز على القِيَم الثَّقافيَّة للنُّصوص الأدبيَّة والظَّواهر الثَّقافيَّة؛ الأمر الَّذي جعلها تتجاوز النَّظرة النَّقديَّة الجماليَّة. ومن أبرز تلك المناهج النَّقديَّة: النَّقد البيئيّ الَّذي يسعى إلى دراسة الظَّواهر الثَّقافيَّة، والنُّصوص الأدبيَّة وتحليلها بغرض الكشف عن تمثيلات البيئة والدِّفاع عنها، والتَّحذير من الممارسات البشريَّة تجاه البيئة. أي أنَّه إلى سبر أغوار النُّصوص الأدبيَّة؛ وصولًا إلى زيادة الوعي البشريّ بأهمّيَّة التَّوازن البيئيّ.

في هذه الدّراسة طرح الباحث فرضيَّة حول الأعمال الرّوائيَّة الَّتي تضمَّنت قضايا بيئيَّة في ثنايا بنيتها السَّرديَّة الَّتي عُرِفت بعدم تركيزها المباشر على قضايا البيئة؛ الأمر الَّذي جعل هذه الدّراسة تهدف إلى تحليل روايتي: (نزيف الحجر)؛ للرّوائيّ العربيّ: إبراهيم الكوني، و(أطفال منتصف اللّيل)؛ للرّوائيّ الهنديّ الإنجليزيّ: سلمان رشدي؛ بغية استكشاف النَّظرة البيئيَّة في الرّوايتين اللَّتين لم تكن البيئة قضيَّتهما الرّئيسة؛ مُتوصِّلةً هذه الدّراسة إلى النَّتائج الآتية:

أوَّلًا: الأعمال الأدبيَّة طالما تتضمَّن رؤية للمكان والبيئة بشكل واضح أو مضمر، فيمكن دراستهما عن طريق النَّقد البيئيّ؛ شريطة استكشاف الرُّؤية الَّتي تدعو إلى رفع الوعي البشريّ بقضايا البيئة.

ثانيًا: رواية: (نزيف الحجر) الَّتي ركَّزت على أهمّيَّة التَّعايش مع الصَّحراء، والتَّحذير من الممارسات الاستعماريَّة، الَّتي سعت إلى استنزاف الموارد الطَّبيعيَّة والصَّيد الجائر، تضمَّنت بنيتها السَّرديَّة نظرة نقديَّة عميقة، كشفت أهمّيَّة المركزيَّة البيئيَّة؛ ممَّا جعل الكوني يُقدِّم – ضمنيًّا – رؤية فلسفيَّة أخلاقيَّة تجاه البيئة.

ثالثًا: تلك النَّظرة الأخلاقيَّة المركزيَّة للبيئة كانت رافدًا مُهمًّا في بنية السَّرد لرواية: (أطفال منتصف اللّيل) الَّتي كشفت –أيضًا– عن دور البيئة في حركة التَّاريخ؛ من خلال إبراز دور البيئة في تحقيق العدالة الاجتماعيَّة أو غيابها. كما كشفت مركزيَّة البيئة في التَّأثير العرقيّ، والرُّوحيّ، والاجتماعيّ على الشَّعب الهنديّ في ظلّ التَّحوُّلات السّياسيَّة والاقتصاديَّة لتاريخ الهند المعاصر.

وانطلاقا مما بدأت به هذه الدراسة من إشكاليات وما عالجته من مسائل حول علاقة الانسان بالطبيعة والبيئة وما انتهت إليه من نتائج مهمة فإنها توصي بأهمية انفتاح الدراسات الأدبية الحديثة على البيئة وتمثيلاتها في الدرس السردي الحديث وفق رؤى نقديَّة مُتعدِّدة التَّخصُّصات تسبر أغوار الخطابات الثَّقافيَّة المُتنوِّعة، من أجل التوصل إلى إجابة الإجابة عن السُّؤال المعرفي المُهمّ (ماذا بعد؟). إنَّ المتأمِّل في تحوُّلات خطاب المعرفة للنَّظريَّة النَّقديَّة المعاصرة، وما لحقه من تحوُّلات في البُنى الفنيَّة للأعمال الأدبيَّة – لا سيَّما – الرّوائيَّة منها، يجد أنَّ تلك الأعمال كشفت تحوُّلات في حركة التَّاريخ نفسه. أنَّ تلك التَّحوُّلات في البُنى الفنيَّة جاءت نتيجة تحوُّلاتٍ في حركة التَّاريخ، بالتَّالي نجد أنَّ الرّوائيّين الَّذين تحدَّثوا عن قضايا تاريخيَّة أو اجتماعيَّة كشفت خطاباتهم السَّرديَّة العودة إلى البيئة باعتبارها النُّقطة الأُولى في إعادة تشكيل حركة التَّاريخ. وبعبارة أخرى رواية: (نزيف الحجر) الَّتي تحدَّثت عن الصَّيد الجائر كشفت أنَّ حركة تاريخ (ليبيا) بعد الاستعمار عادت إلى بيئة الصَّحراء؛ لتنطلق إلى إعادة تشكيل التَّاريخ، وهذا ما يظهر في رواية: (أطفال منتصف اللّيل) الَّتي ركَّزت على تاريخ الهند المعاصر بعد الاستقلال؛ ممَّا جعل سلمان رشدي يُوحي بأنَّ أوَّل خطوة لإعادة تشكيل حركة تاريخ الهند المعاصر هو العودة إلى غابات (السّندربانز). وبعبارة مختصرة إنَّ الخروج من حقبة الاستعمار باعتباره تحوُّلًا مُهمًّا في حركة التَّاريخ كان سببًا في جعل الرّوائيّين يتَّجهَانِ – ضمنيًّا – إلى البيئة وقضاياها باعتبارها حاضنة أوَّليَّة لإعادة تشكيل حركة تاريخ بلادهما. أي العودة لطرح قضايا البيئة في ثنايا السَّرد؛ نتيجة لما حدث في التَّاريخ المعاصر.

المراجع

الكوني، إبراهيم. .(2020) نزيف الحجر. (ط3). دار التنوير للطباعة والنشر.

الرمادي، أبو المعاطي، والعدواني، معجب. .(2022) النقد البيئي: مفاهيم وتطبيقات. الانتشار العربي.

روبنس، بول. .(2017) البيئة والمجتمع: مقدمة نقدية (ترجمة خالد مفتاح). المركز القومي للترجمة.

جرارد، جرج. .(2009) النقد البيئوي (ترجمة محمد عصفور). هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

رشدي، سلمان. .(2009) أطفال منتصف الليل (ترجمة عبد الكريم ناصيف). دار التكوين.

برانش، مايكل. .(2007) النقد الإيكولوجي: الطبيعة في النظرية والممارسة الأدبيتين (ترجمة معين رومية). النادي الأدبي.

الجبيلي، نجاح. .(2021) النقد البيئي: مقدمات، مقاربات، تطبيقات. دار شهريار للنشر.

Alex, R. (2007). Essays in ecocriticism. Sarup & Sons.

Beecroft, Alexander. (2015). An ecology of world literature: From antiquity to the present day. Verso Books.

Branch, Michael. (1998). Reading the Earth: New directions in the study of literature and environment. University of Idaho Press.

Brennan, Andrew, & Lo, Norva Y. S. (2022). Environmental ethics. In Edward N. Zalta (Ed.), The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2022). Metaphysics Research Lab, Stanford University.

Buell, Lawrence. (1995). The environmental imagination: Thoreau, nature writing, and the formation of American culture. Harvard University Press.

Buell, Lawrence. (2009). The future of environmental criticism: Environmental crisis and literary imagination. John Wiley & Sons.

Callicott, J. Baird. (1989). In defense of the land ethic: Essays in environmental philosophy. SUNY Press.

Carson, Rachel. (2015). Silent spring. Routledge.

Cohen, Ralph. (1999). Ecocriticism. New Literary History, 30(3).

Currie, Mark. (2010). Postmodern narrative theory. Bloomsbury Publishing.

Fox, Warwick. (2006). A theory of general ethics: Human relationships, nature, and the built environment. MIT Press.

Glotfelty, Cheryll, & Fromm, Harold (Eds.). (1996). The ecocriticism reader: Landmarks in literary ecology. University of Georgia Press.

Herdiana, Irma. (2018). Nature's role toward mental and physical healing reflected on The Secret Garden by Frances Hudgson Burnett: An ecocritical reading. Vivid: *Journal of Language and Literature,* 7(2), 52–56.

Love, Glen A. (1990). Revaluing nature: Toward an ecological criticism. Western American Literature, 25(3), 201–215.

Marzec, Robert. (2015). An ecological and postcolonial study of literature: From Daniel Defoe to Salman Rushdie. Springer.

Murphy, Patrick D. (2009). Ecocritical explorations in literary and cultural studies: Fences, boundaries, and fields. Lexington Books.

Paz, Octavio. (1985). The labyrinth of solitude; The other Mexico. Grove Press.

Rueckert, William. (1996). Literature and ecology: An experiment in ecocriticism. In Cheryll Glotfelty & Harold Fromm (Eds.), The ecocriticism reader: Landmarks in literary ecology. University of Georgia Press.

Williams, Terry Tempest. (1992). Refuge: An unnatural history of family and place. Knopf Doubleday Publishing Group.

Zamora, Lois Parkinson, & Faris, Wendy B. (1995). Magical realism: Theory, history, community. Duke University Press.

Journal of Human Sciences
At Hail University

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

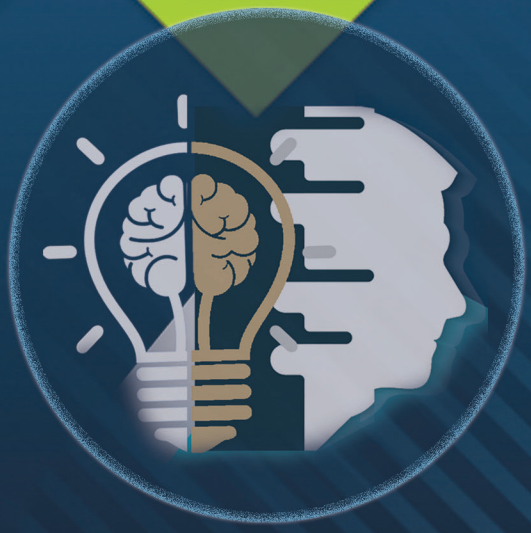

Eighth year, Issue 27
Volume 2, September 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658